محمود شلبي

عجائب بسم الله الرحمن الرحيم

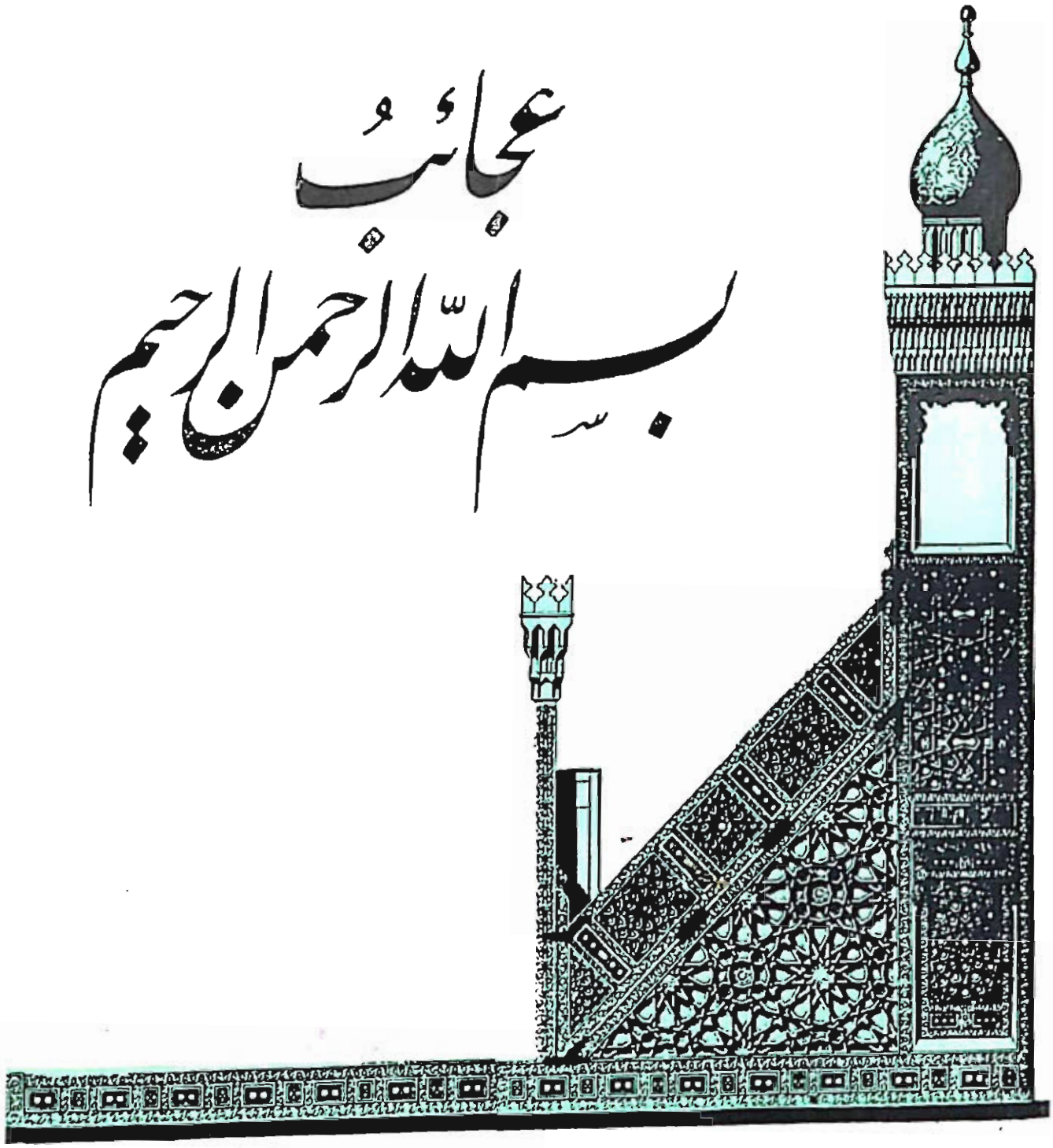

منشورات المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

عجائب

بسم الله الرحمن الرحيم

محمود شلبي

عجائب بسم الله الرحمن الرحيم

منشورات المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

الطبعة الأولى
١٩٨٢

الاهداء

اللهم . . . منك . . وإليك

محمود شلبي

مقدمة

أحمد الله . . . الذي لا إله إلا هو . . . وأصلي وأسلم . . . على أحمد . . . صلاة وسلاما . . . من الأزل إلى الأبد . . .

وبعد . . .

قد ينطلق أحد الذين لا يعلمون . . . فيقول : كيف يصدر كتاب بأكمله ، في تفسير البسملة ، وهي مجرد آية واحدة ليس إلا ؟!!

ولـو علم هؤلاء . . . أن ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ . . . فيها كتاب الله جميعا . . .

وأن كتاب الله . . . جُمع فيه كل شيء . . . أي أن البسملة فيها أسرار كل شيء كان أو يكون . . .

لو أدركوا هذا . . . لأدركوا أن ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ بحر سرمدي . . . يموج من الأزل إلى الأبد . . . لا تنفد أمواجه . . . ولا تنتهي عجائبه !!!

فإن قالوا : وأين برهان ما تقول ؟!!

قلنا : هذا الكتاب . . . الذي نضعه بين يديك . . .

إقرأ فيه عجائب . . . بسم الله الرحمن الرحيم . . .

بقلم . . . عبقري . . . من أعجب عباقرة العالم . . . هو هذا المسمى بـ « الفَخْر الرازي » . . .

وسوف تهتف في النهاية : سبحانك ربنا . . . كيف جعلت البحر مُركَّزا في قطرة ؟!!

القاهرة ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م

من هو هذا المؤلف ؟!

فيه قالوا :[1]

هو إمام المتكلمين ، وقامع المبتدعين ، فخر الإسلام والمسلمين ، وحجة الله على العالمين ، والعالم المتبحر ، قدوة الأنام ، وبدرهم المشرق ، وتاج المحققين وشمسهم الساطعة الضياء ، الإمام المتصدر العلامة فخر الدين الرازي ، أبو عبدالله محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل ، الشافعي المذهب ، المفسر ، المتكلم ، الأصولي ، المتطبب ، صاحب التصانيف المشهورة .

وحسبه فضلاً وعلو منزلة أن علماء الأصول إذا

---

(١) من مقدمة التفسير الكبير .

نقلوا عنه قالوا : **وقال الإمام ، أو : وعند الإمام . . .** وإذا قالوا : **قال الإمام . . .** بدون ذكر اسم بعده لم يريدوا غيره في كل عباراتهم وكتبهم .

كيف أخذ العلم ؟

ولد في الخامس والعشرين من شهر رمضان ، سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة هجرية .

ثم تلقى العلم عن أبيه . . . صاحب الإمام البغوي .

واشتغل فخر الدين الرازي في مبدأ أمره بالفقه .

ثم اشتغل بالعلوم الحكمية ، وتميز حتى لم يوجد في زمانه أحد يضاهيه .

وكان لمجلسه جلالة ، وكان هو نفسه يتعاظم حتى على الملوك !

عبقري ؟!

كان الفخر من أفضل علماء عصره ، في الفقه وعلوم اللغة والمنطق والمذاهب الكلامية .

ومن أبرع أهل زمانه في الطب والحكمة شاع فضله في كل ذلك وذاع ، وبعد صيته بين الناس ، وملأ البقاع والأسماع ، فأمّه الطلاب من كل بلد وصقع ، يتلقون العلم عنه ويغترفون من علومه ومعارفه .

وكان صحيح النظر ، بليغ القول ، جيد التعبير عن كل ما يقصد إلى بيانه .

ترى هذا واضحاً في عباراته في التفسير ، وغيره من مؤلفاته العديدة .

وكان مسدد الرأي في المسائل الطبية ، ملماً مع ذلك كله بالأدب والشعر ، وكان ينظم الشعر الجيد بالفارسية والعربية .

يقول ابن خلكان :

إن كتبه ممتعة ، وقد انتشرت تصانيفه في البلاد ، ورزق فيها سعادة عظيمة ، فإن الناس اشتغلوا بها ورفضوا كتب المتقدمين ، وهو أول من اخترع الترتيب الذي تجده في كتبه ، وأتى فيها بما لم يسبق إليه . . .

شخصية رائعة ؟!

كان الإمام فخر ربع القامة ، عبل الجسم ، كث

اللحية ، جهوري الصوت ، صاحب وقار وحشمة ، له ثروة ومماليك ، وبزة حسنة ، وهيئة جميلة .

وحدث المؤرخون أنه كان إذا ركب مشى معه نحو الثلاثمائة مشتغل بطلب العلم ، على اختلاف مطالبهم في التفسير والفقه والكلام والطب والأصول والحكمة وغير ذلك .

وكان له باع طويل في الوعظ ، وقوة تأثير نفسية ، فيبكي سامعوه كثيراً من شدة وقع مواعظه في قلوبهم ، وسحرها في أفئدتهم !!

يقول ابن خلكان :

كان له في الوعظ اليد البيضاء ، وكان يعظ باللسانين العربي والعجمي .

وكان يلحقه الوجد في حال الوعظ ويكثر البكاء[1] .

---

(١) هذا برهان قاطع على أن الرجل كان ذا قلب مفتوح على الملأ الأعلى . . . يلتقط موجات النور العليا . . . فيتموج معها فؤاده . . . فتموج معه قلوب السامعين موجاً عنيفاً !!

وكان يحضر مجلسه بمدينة هراة أرباب المذاهب والمقالات ، ويسألونه وهو يجيب كل سائل بأحسن إجابة .

ورجع بسببه خلق كثير من الطائفة الكرامية وغيرهم إلى مذهب أهل السُنّة وكان يلقب بهراة : شيخ الإسلام .

السلطان إليه يسعى ؟!

وقد سار إلى شهاب الدين الغوري (سلطان غزنة) فبالغ في إكرامه ، وحصلت له منه أموال طائلة .

واتصل بالسلطان علاء الدين خوارزم شاه ، فحظي عنده ، وكان السلطان علاء الدين إذا رغب في رؤيته أتى إلى الفخر في داره بنفسه ، ولا يجشمه أشياء الانتقال إليه !!

وكان أعاظم الناس يكرمونه ، ويعظمونه حتى أنه بعد موته أكرم أولاده بسببه . . .

إمام وتلاميذه أئمة !!

كان الإمام فخر الدين إذا جلس للتدريس أطاف به

جماعة من كبار تلاميذه . . . ثم يليهم التلاميذ . . . ثم من سواهم على قدر مراتبهم وأقدارهم في العلم والفهم .

فكان إذا سأل أحد مسألة ، أجابه التلاميذ ، فإن أشكل الأمر أجابهم كبار التلاميذ ، وإلا أجاب الإمام بنفسه ، وتكلم بما يفوق الوصف .

أصح الطرق طريقة القرآن ؟!

نقل عن الإمام فخر الدين أنه كان كثيراً ما يذكر الموت ويقول : إنني حصلت من العلوم ما يمكن تحصيله بحسب الطاقة البشرية ، وما بقيت أؤثر إلا لقاء الله تعالى ، والنظر إلى وجهه !

وسُمع فخر الدين الرازي يقول : **يا ليتني لم أشتغل بعلم الكلام . . . وبكى . . .**

وروي عنه أنه قال :

لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية ، فلم أجدها تروي غليلاً ولا تشفي عليلاً . . . ورأيت أصح الطرق طريقة القرآن . . . أقرأ في التنزيه ﴿ والله

هو الغني وأنتم الفقراء ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ و ﴿ قل هو الله أحد ﴾ .

واقرأ في الإثبات ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ و﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ و﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ .

واقرأ في أن الكل من الله قوله ﴿ قل كل من عند الله ﴾ .

ثم قال : وأقول من صميم القلب ، من داخل الروح ، إني مقر بأن كل ما هو الأكمل الأفضل الأعظم الأجل فهو لك[1] ، وكل ما هو عيب ونقص ، فأنت منزه عنه .

نموذج من شعره !

كان للإمام شعر جيد . . . ومن شعره :

نهاية إقدام العقول عقال
وأكثر سعي العالمين ضلال

---

(١) أي أن حقيقة الذات الإلهية ، والصفات الإلهية وراء العقل ووراء الإدراك !!!

وأرواحنا في وحشة من جسومنا
وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

الإمام الكبير يتحدث عن نفسه !

وحين مرض ، وأيقن بالموت . . . أملى وصيته سنة ٦٠٦ هجرية . . . وإليك فقرات منها :

« يقول العبد الراجي رحمة ربه . . . وهو في آخر شهده في الدنيا ، وأول شهده بالآخرة ، وهو الوقت الذي يلين فيه كل قاسي ، ويتوجه إلى مولاه ، كل آبق :

« إني أحمد الله تعالى بالمحامد الذي ذكرها أعظم ملائكته في أشرف أوقات معارجهم ، ونطق بها أعظم أنبيائه في أكمل أوقات مشاهدتهم . . .

« لقد اختبرت الطرق الكلامية ، فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم ، لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى ،

ويمنع عن التعمق في ايراد المعارضة والمتناقضات ، وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى وتضمحل في تلك المضايق العميقة والمناهج الخفية . . .

« يا إله العالمين ، إني أرى الخلق مطبقين على أنك أكرم الأكرمين ، وأرحم الراحمين ، فلك ما مر به قلمي ، أو خطر ببالي ، فأستشهد علمك ، وأقول : إن علمت مني أني أردت تحقيق باطل أو إبطال حق ، فافعل بي ما أنا أهله ، وإن علمت مني أني ما سعيت إلا في تقرير ما اعتقدت أنه هو الحق ، وتصورت أنه الصدق ، فلتكن رحمتك مع قصدي لا مع حاصلي ، فذاك جهد المقل ، فأنت أكرم من أن تضايق الضعيف ، الواقع في الزلة ، **فأغثني وارحمني واستر زلتي** . . .

« ديني متابعة سُنَّة محمد سيد المرسلين ، وكتابي هو القرآن العظيم ، وتعويلي في طلب الدين عليهما .

« أمرت كل تلامذتي ، وكل من لي عليه حق ، أني إذا مت يبالغون في إخفاء موتي ، ولا يخبرون أحدا بـه ، ويكفنونني ، ويـدفنونني على شـرط الشـرع ،

ويحملونني إلى الجبل المصاقب لقرية مزداخان ، ويدفنونني هناك ، وإذا وضعوني في اللحد قرأوا عليَّ ما قدروا عليه من إلهيات القرآن ، ثم ينثرون التراب عليَّ ، وبعد الإتمام يقولون : يا كريم جاءك الفقير المحتاج ، فأحسن إليه . . . » .

ثم انتقل الإمام فخر الدين الرازي إلى جوار ربه سنة ٦٠٦ هجرية .

ما أعظم هذا !!

الرجل يموت عن ٦٣ سنة !!!

عمر قصير . . . وانتاج غزير !!!

كيف استطاع أن ينتج هذا كله ، في هذا العمر القليل ؟!

لقد انتج عشرات الكتب . . . وحسبك منها تفسيره الكبير للقرآن العظيم . . .

إن هذا الكتاب وحده يعتبر أعجوبة في أسلوبه وأبعاده وإتمامه . . .

وإنما هي العبقرية . . .

عبقرية . . . مصدرها الإخلاص لله . . . ونورها يشتعل من نور التوجه الخالص إلى الله . . .

إنه . . . الاستعداد . . . فكان الامداد . . . على قدر الاستعداد !!!

ماذا قال الفخر الرازي في البسملة ؟!

قبل أن أقدم لك أروع ما أبدع الإمام الكبير . . . في تفسير « بسم الله الرحمن الرحيم » . . .

أحب أن أذكر لك . . . أني سوف أحذف من أقواله . . . ما يثقل على القارىء الحديث . . . من لغويات . . . وأدعها لمن أراد أن يرجع إليها في تفسيره الكبير . . .

أما في هذا الكتيب . . . فإني أذكر لك . . . أبدع ما قال . . . مما يمضي سهلا ميسورا مع عقولنا . . . عقول عصر الذرة والتليفزيون والفضاء . . .

وإليك الآن ما قال الإمام الكبير :

ما المراد من قوله بسم الله ؟!

المراد إبدأ بذكر الله .

والمراد إبدأ ببسم الله .

فالفائدة فيه أنه كما أن ذات الله تعالى أشرف الذوات ، فكذلك ذكره أشرف الأذكار ، واسمه أشرف الأسماء .

فكما أنه في الوجود سابق على كل ما سواه ، وجب أن يكون ذكره سابقاً على كل الأذكار ، وأن يكون اسمه سابقاً على كل الأسماء . . .

كيف تقرأ ، وكيف تَكتب ، بسم الله الرحمن الرحيم ؟!

أما المباحث المتعلقة بالقراءة فكثيرة :

المسألة الأولى :

أجمعوا على أن الوقف على قوله ﴿ بسم ﴾ ناقص قبيح . . . وعلى قوله ﴿ بسم الله ﴾ . . . أو على قوله ﴿ بسم الله الرحمن ﴾ كاف صحيح . . . وعلى قوله ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ تام .

واعلم أن الوقف لا بد وأن يقع على أحد هذه الأوجه الثلاثة ، وهو أن يكون ناقصاً ، أو كافياً ، أو تـاماً .

فالوقف على كل كلام لا يفهم بنفسه ناقص ، والوقف على كل كلام مفهوم المعاني إلا أن ما بعده يكون متعلقاً بما قبله يكون كافياً ، والوقف على كل كلام تام ويكون ما بعده منقطعاً عنه يكون وقفاً تاماً . . .

المسألة الثانية :

أطبق القراء على ترك تغليظ اللام في قوله ﴿ **بسم الله** ﴾ . . . وفي قوله ﴿ **الحمد لله** ﴾ .

والسبب فيه أن الانتقال من الكسرة إلى اللام المفخمة ثقيل .

لأن الكسرة توجب التسفل ، واللام المفخمة حرف مُسْتَعْلٍ ، والانتقال من التسفل إلى التصعيد ثقيل .

وإنما استحسنوا تفخيم اللام وتغليظها من هذه الكلمة في حال كونها مرفوعة أو منصُوبة . . . كقوله

﴿ اللهُ لطيفٌ بعبادِهِ . قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ ﴾ . . . وقوله ﴿ إنَّ اللهَ اشترى مِن المؤمنينَ أنفُسَهُم ﴾ .

المسألة الثالثة :

قالوا : المقصود من هذا التفخيم أمران :

الأول : الفرق بينه وبين لفظ اللاة في الذكر .

الثاني : أن التفخيم مشعر بالتعظيم ، وهذا اللفظ يستحق المبالغة في التعظيم .

الثالث : أن اللام الرقيقة إنما تذكر بطرف اللسان ، وأما هذه اللام المغلظة فإنما تذكر بكل اللسان ، فكان العمل فيه أكثر ، فوجب أن يكون أدخل في الثواب .

وأيضاً جاء في التوراة (**يا موسى أجب ربك بكل قلبك**) .

فههنا كان الإنسان يذكر ربه بكل لسانه .

وهو يدل على أنه يذكره بكل قلبه ، فلا جرم كان هذا أدخل في التعظيم .

المسألة الرابعة :

تشديد اللام من قولك « الله » للإدغام . . . فإنه حصل هناك لامان . . . الأولى لام التعريف وهي ساكنة . . . والثانية لام الأصل وهي متحركة . . . وإذا التقى حرفان مثلان من الحروف كلها . . . وكان أول الحرفين ساكناً والثاني متحركاً أدغم الساكن في المتحرك ضرورة . . . سواء كانا في كلمتين أو كلمة واحدة .

أما في الكلمتين فكما في قوله ﴿ فمارَبِحَت تِّجارتُهم . وما بكم مِّن نِّعمة . ما لهم مِّنَ الله ﴾ .

وأما في الكلمة الواحدة ، فكما في هذه الكلمة .

دقيقة لأرباب الإشارات ؟!

المسألة الخامسة :

لأرباب الإشارات والمجاهدات ههنا دقيقة .

وهي أن لام التعريف ولام الأصل من لفظة « الله » اجتمعا ، فأدغم أحدهما في الثاني .

فسقط لام المعرفة ، وبقي لام لفظة (الله) .

وهذا كالتنبيه على أن المعرفة إذا حصلت إلى حضرة المعروف ، سقطت المعرفة وفنيت وبطلت ، وبقي المعروف الأزلي ، كما كان من غير زيادة ولا نقصان !!!

الرَّحمن الرَّحيم ؟!

المسألة السادسة :

لم يقرأ أحد (الله) بالإمالة ، إلا قتيبة ، في بعض الروايات .

المسألة السابعة :

تشديد الراء من قوله ﴿ الرَّحمن الرَّحيم ﴾ لأجل إدغام لام التعريف في الراء .

ولا خلاف بين القراء في لزوم إدغام لام التعريف في اللام . . . وفي ثلاثة عشر حرفاً سواه وهي : الصاد ، والضاد ، والسين ، والشين ، والدال ، والذال ، والراء ، والزاي ، والطاء ، والظاء ، والتاء ، والثاء ، والنون ، انتهى .

كقوله تعالى ﴿ التَّائبون العابدون الحامدون

السَّائحون الرَّاكعون السَّاجدون الآمرون بالمعروف والنَّاهون عن المنكر ﴾ .

والعلة الموجبة لجواز هذا الإدغام قرب المخرج ، فإن اللام وكل هذه الحروف المذكورة مخرجها من طرف اللسان وما يقرب منه ، فحسن الإدغام .

ولا خلاف بين القراء في امتناع إدغام لام التعريف فيما عدا هذه الثلاثة عشر .

كقوله ﴿ العابدون الحامدون الآمرون بالمعروف ﴾ . . . كلها بالإظهار .

وإنما لم يجز الإدغام فيها لبعد المخرج .

فإنه إذا بعد مخرج الحرف الأول عن مخرج الحرف الثاني ثقل النطق بهما دفعة ، فوجب تمييز كل واحد منهما عن الآخر ، بخلاف الحرفين اللذين يقرب مخرجاهما ، لأن التمييز بينهما مشكل صعب .

المسألة الثامنة :

اجمعوا على أن إعراب « الرحمنِ الرحيمِ » هو الجر .

لكونها صفتين للمجرور الأول . . . إلا أن الرفع والنصب جائزان فيهما بحسب النحو .

أما الرفع فعلى تقدير . . . بسم الله هو الرحمنُ الرحيمُ .

وأما النصب فعلى تقديـر . . . بسم الله أعني الرحمنَ الرحيمَ .

كيف تُكتب ؟!

المسألة الأولى :

طوَّلوا الباء من « بسم الله » وما طوَّلوها في سائر المواضع .

وذكروا في الفرق وجهين :

الأول : أنه لما حذفت ألف الوصل بعد الباء طولوا هذه الباء ، ليدل طولها على الألف المحذوفة التي بعدها .

ألا ترى أنهم لما كتبوا ﴿ **اقرأ بـاسم ربك** ﴾ بالألف ، ردوا الباء إلى صفتها الأصلية ؟

الثاني : قال القتيبي : إنما طولوا الباء لأنهم أرادوا أن لا يستفتحوا كتاب الله إلا بحرف معظم .

وكان عمر بن عبد العزيز يقول لكتابه : طوِّلوا الباء ، وأظهروا السين ، ودوِّروا الميم ، تعظيماً لكتاب الله .

المسألة الثانية :

قال أهل الإشارة : والباء حرف منخفض في الصورة ، فلما اتصل بكتبة لفظ « الله » ارتفعت واستعلت ، فنرجو أن القلب لما اتصل بخدمة الله عز وجل أن يرتفع حاله ويعلو شأنه !

المسألة الثالثة :

حذفوا ألف « اسم » من قوله ﴿ بسم الله ﴾ وأثبتوه في قوله ﴿ إقرأ باسم ربك ﴾ والفرق من وجهين :

الأول : إن كلمة « باسم الله » مذكورة في أكثر الأوقات عند الأفعَال . . . فلأجل التخفيف حذفوا الألف . . . بخلاف سائر المواضع ، فإن ذكرها قليل .

الثاني : قال الخليل : إنما حذفت الألف في قوله

﴿ بسم الله ﴾ لأنها إنما دخلت بسبب أن الابتداء بالسين الساكنة غير ممكن ، فلما دخلت الباء على الاسم نابت عن الألف في هذا الموضع كما في ﴿ بسم الله ﴾ . . . لأنه يمكن حذف الباء من ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ مع بقاء المعنى صحيحاً . . . فإنك لو قلت إقرأ اسم ربك صح المعنى . . . أما لو حذفت الباء من « بسم الله » لم يصح المعنى فظهر الفرق .

المسألة الرابعة :

إنما حذفوا الألف قبل الهاء من قولنا « الله » في الخط لكراهتهم اجتماع الحروف المتشابهة بالصورة عند الكتابة ، وهو مثل كراهتهم اجتماع الحروف المتماثلة في اللفظ عند القراءة .

المسألة الخامسة :

إنما جاز حذف الألف قبل النون في « الرحمن » في الخط على سبيل التخفيف .

ولو كتبت بالألف حسن .

ولا يجوز حذف الياء من الرحيم ، لأن حذف

الألف من الرحمن لا يخل ، ولا يحصل فيها التباس ، بخلاف حذف الياء من الرحيم .

هل لله تعالى بحسب ذاته المخصوصة اسم أم لا ؟!

إعلم أن الخوض في هذه المسألة مسبوق بمقدمات عالية من المباحث الإلهية .

المقدمة الأولى :

أنه تعالى مخالف لخلقه ، لذاته المخصوصة لا لصفة .

والدليل عليه أن ذاته من حيث هي هي ، مع قطع النظر عن سائر الصفات . . .

إن كانت مخالفة لخلقه فهو المطلوب .

وإن كانت مساوية لسائر الذوات فحينئذ تكون مخالفة ذاته لسائر الذوات لا بد وأن يكون لصفة زائدة .

فاختصاص ذاته بتلك الصفة التي لأجلها وقعت المخالفة ، إن لم يكن لأمر البتة ، فحينئذ لزم رجحان الجائز لا لمرجح .

وإن كان لأمر آخر لزم إما التسلسل وإما الدور ، وهما محالان .

فإن قيل ؛ هي قولنا ، فهذا يقتضي أن تكون خصوصية تلك الصفة لصفة أخرى ، ويلزم منه التسلسل وهو محال .

ليس بجسم ولا جوهر ؟!

المقدمة الثانية :

أنا نقول : إنه تعالى ليس بجسم ولا جوهر .

لأن سلب الجسمية والجوهرية مفهوم سلبي ، وذاته المخصوصة أمر ثابت ، والمغايرة بين السلب والثبوت معلوم بالضرورة .

وأيضاً . . . فذاته المخصوصة ليست عبارة عن نفس القادرية والعالمية .

لأن المفهوم من القادرية والعالمية مفهومات إضافية ، وذاته ذات قائمة بنفسها .

والفرق بين الموجود القائم بالنفس ، وبين الاعتبارات النسبية والإضافية معلوم بالضرورة .

حقيقته تعالى غير معلومة للبشر ؟!

المقدمة الثالثة :

في بيـان أنا في هـذا الوقت لا نعْـرف ذاتـه المخصوصة .

ويدل عليه وجوه :

الأول : أنا إذا رجعنا إلى عقولنا وأفهامنا ، لم نجد عند عقولنا وأفهامنا من معرفة الله تعالى إلا أحد أمور أربعة :

إما العلم بكونه موجودا .

وإما العلم بدوام وجوده .

وإما العلم بصفات الجلال ، وهي الاعتبارات السلبية .

وإما العلم بصفات الإكرام ، وهي الاعتبارات الإضافية .

وقد ثبت بالدليل أن ذاته المخصوصة مغايرة لكل واحد من هذه الأربعة .

فإنه ثبت بالدليل أن حقيقته غير وجوده .

وإذا كان كذلك كانت حقيقته أيضاً مغايرة لدوام وجوده .

وثبت أن حقيقته غير سلبية وغير إضافية .

وإذا كان لا معلوم عند الخلق إلا أحد هذه الأمور الأربعة .

وثبت أنها مغايرة لحقيقته المخصوصة ثبت أن حقيقته المخصوصة غير معلومة للبشر .

الحواس والعقول عاجزة ؟!

الثاني :

أن الاستقراء التام يدل على أنا لا يمكننا أن نتصور أمراً من الأمور إلا من طرق أمور أربعة :

أحدهما . . . الأشياء التي أدركناها بإحدى هذه الحواس الخمس .

وثانيها . . . الأحوال التي ندركها من أحوال أبداننا ، كالألم واللذة والجوع والعطش والفرح والغم .

وثالثها . . . الأحوال التي ندركها بحسب عقولنا ،

مثل علمنا بحقيقة الوجـود والعدم والـوحدة والكثـرة والوجوب والامكان .

ورابعها . . . الأحوال التي يدركها العقل والخيال من تلك الثلاثة .

فهذه الأشياء هي التي يمكننا أن نتصورها وأن ندركها ، من حيث هي هي .

فإذا ثبت هذا ، وثبت أن حقيقة الحق سبحانه وتعالى مغايرة لهذه الأقسام . . .

ثبت أن حقيقته غير معقولة للخلْق !!!

حقيقة الحق وراء العقل ؟!

الثالث :

أن حقيقته المخصوصة علة لجميع لوازمه ، من الصفات الحقيقية والإضافية والسلبية والعلم بالعلة علة للعلم بالمعلول .

ولو كانت حقيقته المخصوصة معلومة ، لكانت صفاته بأسرها معلومة بالضرورة .

وهذا معدوم ، فذاك معدوم .

فثبت أن حقيقة الحق ، غير معقولة للبشر[1] .

لا يعرف الله إلا الله ! ؟

المقدمة الرابعة :

في بيان أنها وإن لم تكن معقولة للبشر ، فهل يمكن أن تصير معقولة لهم ؟

المقدمة الخامسة :

في بيان أن البشر وإن امتنع في عقولهم إدراك تلك الحقيقة المخصوصة ، فهل يمكن ذلك العرفان في حق جنس الملائكة ، أو في حق فرد من أفرادهم ؟

الانصاف أن هذه المباحث صعبة ، والعقل كالعاجز القاصر في الوفاء بها كما ينبغي .

وقال بعضهم :

عقول المخلوقات ومعارفهم متناهية ، والحق

---

(١)أي أن حقيقة الذات الالهية ، والصفات الالهية وراء العقل ووراء الادراك !!!

تعالى غير متناه ، والمتناهي يمتنع وصوله إلى غير المتناهي . . . ولأن أعظم الأشياء هو الله تعالى ، وأعظم العلوم علم الله سبحانه وتعالى ، وأعظم الأشياء لا يمكن معرفته إلا بأعظم العلوم . . . فعلى هذا لا يعرف الله إلا الله .

المعرفة العرضية ممكنة ؟ !

المقدمة السادسة :

اعلم أن معرفة الأشياء على نوعين :

معرفة عرضية ، ومعرفة ذاتية :

أما المعرفة العرضية ، فكما إذا رأينا بناء علمنا بأنه لا بد له من بانٍ .

فأما أن ذلك الباني كيف كان في ماهيته ، وأن حقيقته من أي أنواع الماهيات ، فوجود البناء لا يدل عليه .

وأما المعرفة الذاتية ، فكما إذا عرفنا اللون المعين ببصرنا ، وعرفنا الحرارة بلمسنا ، وعرفنا الصوت بسمعنا . . . فإنه لا حقيقة للحرارة والبرودة إلا هذه

الكيفية الملموسة . . . ولا حقيقة للسواد والبياض إلا هذه الكيفية المرئية .

إذا عرفت هذا فنقول :

إنا إذا علمنا إحتياج المحدثات إلى محدث وخالق ، فقد عرفنا الله تعالى معرفة عرضية .

إنما الذي نفيناه الآن هو المعرفة الذاتية .

فلتكن هذه الدقيقة معلومة حتى لا تقع في الغلط .

لا تدركه الأبصار ؟ !

المقدمة السابعة :

أعلم أن إدراك الشيء من حيث هو هو ـ أعني ذلك النوع الذي سميناه بالمعرفة الذاتية ـ يقع في الشاهد على نوعين :

أحدهما : العلم

والثاني : الأبصار

فإنا إذا أبصرنا السواد ثم غمضنا العين فإنا نجد تفرقة بديهية بين الحالتين ، فعلمنا أن العلم غير ، وأن الأبصار غير .

إذا عرفت هذا فنقول :

بتقدير أنه يقال يمكن حصول المعرفة الذاتية للخلق ، فهل لتلك المعرفة ولذلك الإدراك طريق واحد فقط ، أو يمكن وقوعه على طريقين ، مثل ما في الشاهد من العلم والإبصار ؟

هذا أيضاً مما لا سبيل للعقل إلى القضاء به والجزم فيه .

وبتقدير أن يكون هناك طريقان ، أحدهما المعرفة والثاني الإبصار ، فهل الأمر هناك مقصور على هذين الطريقين ، أو هناك طرق كثيرة ومراتب مختلفة ؟ .

كل هذه المباحث مما لا يقدر العقل على الجزم فيها البتة .

فهذا هو الكلام في هذه المقدمات .

لا أحد يعرف الذات ؟ !

في أنه هل لله تعالى بحسب ذاته المخصوصة اسم أم لا ؟

نقل عن قدماء الفلاسفة انكاره .

قالوا : والدليل عليه أن المراد من وضع الإسم الإشارة بذكره إلى المسمى .

فلو كان لله بحسب ذاته اسم لكان المراد من وضع ذلك الإسم ذكره مع غيره لتعريف ذلك المسمى .

فإذا ثبت أن أحدا من الخلق لا يعرف ذاته المخصوصة البتة ، لم يبق في وضع الإسم لتلك الحقيقة فائدة .

فثبت أن هذا النوع من الإسم مفقود .

فعند هذا قالوا :

إنه ليس لتلك الحقيقة اسم ، بل له لوازم معرفة .

وتلك اللوازم هي أنه الأزلي الذي لا يزول ..

وأنه الواجب الذي لا يقبل العدم .

وأما الذين قالوا إنه لا يمتنع في قدرة الله تعالى أن يشرف بعض المقربين من عباده بأن يجعله عارفا بتلك الحقيقة المخصوصة . . . فثبت أن هذه المسألة مبنية على تلك المقدمات السابقة .

من عرف الإسم الأعظم . . .
أطاعته جميع العوالم ؟ !

بتقدير أن يكون وضع الإسم لتلك الحقيقة المخصوصة ممكنا . . . وجب القطع بأن ذلك الإسم أعظم الأسماء ، وذلك الذكر أشرف الأذكار .

لأن شرف العلم بشرف المعلوم ، وشرف الذكر بشرف المذكور .

فلما كان ذات الله تعالى أشرف المعلومات والمذكورات ، كان العلم به أشرف العلوم ، وكان ذكر الله أشرف الأذكار .

وكان ذلك الإسم أشرف الأسماء .

وهو المراد من الكلام المشهور ، الواقع في الألسنة ، وهو اسم الله الأعظم .

ولو اتفق لملَك مقرب ، أو نبي مرسل ، الوقوف على ذلك الإسم ، حال ما يكون قد تجلى له معناه ، لم يبعد أن يطيعه جميع عوالم الجسمانيات والروحانيات .

ما هو اسم الله الأعظم ؟ !

القائلون بأن الإسم الأعظم موجود ، اختلفوا فيه على وجوه :

الأول :

قول من يقول إن ذلك الإسم الأعظم هو قولنا (**ذو الجلالِ والإكرام**) .

وورد فيه قوله عليه الصلاة والسلامَ « **أَلِظُّوا بياذَا الجلالِ والإكرام** » . . .

وهذا عندي ضعيف .

لأن الجلال إشارة إلى الصفات السلبية ، والإكرام إشارة إلى الصفات الإضافية ، وقد عرفت أن حقيقته المخصوصة مغايرة للسلوب والإضافات[1] .

---

(١) قلت : لست مع الإمام الكبير فيما ذهب إليه . . . فإن مَن قرأ قوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْها فان . ويَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجلال =

هل هو الحيّ القيُّوم ؟ !

والقول الثاني :

قول من يقول أنه هو ﴿ الحيُّ القيُّومُ ﴾ لقوله عليه الصلاة والسلام ، لأبيّ ابن كعب : **ما أعظم آية في كتاب الله تعالى ؟** ، فقال : ﴿ **اللَّهُ لا إلهَ إلاَّ هوَ الحيُّ القيُّومُ** ﴾ ، فقال : « **لِيَهْنِك العلم أبا المنذِر** »

وعندي أنه ضعيف .

وذلك لأن الحيّ هو الدراك الفعال .

وهذا ليس فيه كثرة عظمة لأنه صفة .

وأما القيُّوم فهو مبالغة في القيام ، ومعناه كونه قائما بنفسه مقوماً لغيره .

= والإكرَامِ . فبأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ . يَسْأَلُهُ مَن في السَّماواتِ والأرْضِ كُلَّ يوْمٍ هُوَ في شَأْنٍ . ﴾ . . . وكان على نور من ربه ذاق منها فورا أن « ذو الجلال والإكرام » . . . هو الإسم الذي إذا سُئل به تعالى أعطى . . . وتأمل قوله سبحانه « ذو الجلال والإكرام » وبعدها مباشرة « يسألُهُ مَن في السماواتِ والأرضِ » . . . كأنه تعالى يريد أن يقول لعباده جميعا : إذا سألتموني سلوني بياذا الجلال والإكرام !!!

فكونه قائما بنفسه مفهوم سلبي ، وهو استغناؤه عن غيره .

وكونه مقوما لغيره صفة إضافية .

فالقيُّوم لفظ دال على مجموع سلب وإضافةً ، فلا يكون ذلك عبارة عن الإسم الأعظم .

أسماء الله كلها عظيمة ؟ !

القول الثالث :

قول من يقول :

أسماء الله كلها عظيمة مقدسة ، ولا يجوز وصف الواحد منها بأنه أعظم ، لأن ذلك يقتضي وصف ما عداه بالنقصان .

وعندي أن هذا أيضاً ضعيف .

لأنا بينا أن الإسم الدال على الذات المخصوصة يجب أن يكون أشرف الأسماء وأعظمها .

وإذا ثبت هذا بالدلائل فلا سبيل فيه إلى الإنكار .

هل الإسم الأعظم هو « الله » ؟ !

القول الرابع :

أن الإسم الأعظم هو قولنا « الله »

وهذا هو الأقرب عندي .

لأنا سنقيم الدلالة على أن هذا الإسم يجري مجرى اسم العَلَم في حقه سبحانه .

وإذا كان كذلك كان دالا على ذاته المخصوصة .

أما الإسم الدال على المسمى بحسب جزء من اجزاء ماهية المسمى ، فهذا في حق الله تعالى محال .

لأن هذا إنما يتصور في حق من كانت ماهيته مركبة من الأجزاء ، وذلك في حق الله محال .

لأن كل مركب فإنه يحتاج إلى جزئه ، وجزؤه غيره .

فكل مركب فإنه محتاج إلى غيره .

وكل محتاج إلى غيره فهو ممكن .

ينتج أن كل مركب فهو ممكن لذاته ، فما لا يكون ممكنا لذاته امتنع أن يكون مركبا ، وما لا يكون مركبا امتنع أن يحصل له اسم بحسب جزء ماهيته .

واعلم أنابينا أن الإسم الدال على الذات ، هل هو حاصل في حق الله تعالى أم لا ؟ .

قد ذكرنا اختلاف الناس فيه .

وأما الإسم الدال بحسب جزء الماهية فقد أقمنا البرهان القاطع على امتناع حصوله في حق الله تعالى .

أما الإسم الدال على الشيء بحسب صفة حقيقية قائمة بذاته المخصوصة ، فتلك الصفة إما أن تكون هي الوجود ، وإما أن تكون كيفية من كيفيات الوجود ، وإما أن تكون صفة أخرى مغايرة للوجود ، ولكيفيات ذلك الوجود .

ونحن نذكر المسائل المفرعة على هذه الأقسام ، والله الهادي .

الأسماء الدالة على الوجود ؟ !

قد عرفت أن هذا البحث ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول :

الأسماء الدالة على الوجود وفيه مسائل :

المسألة الأولى :

أطبق الأكثرون على أنه يجوز تسمية الله تعالى باسم الشيء .

ونقل عن جهم بن صفوان أن ذلك غير جائز .

أما حجة الجمهور فوجوه :

الحجة الأولى :

قوله تعالى ﴿ **قل أي شيء أكبر شهادة ؟ قل الله** ﴾ .

وهذا يدل على أنه يجوز تسمية الله باسم الشيء .

فإن قيل : لو كان الكلام مقصورا على قوله ﴿ **قل الله** ﴾ لكان دليلكم حسنا ، لكن ليس الأمر كذلك ، بل المذكور هو قوله تعالى ﴿ **قل الله شهيد بيني وبينكم** ﴾ وجب أن تكون هذه الجملة جارية مجرى الجواب عن قوله ﴿ **أي شيء أكبر شهادة** ﴾ وحينئذ يلزم المقصود .

الحجة الثانية :

قوله تعالى ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ .

والمراد بوجهه ذاته ، ولو لم تكن ذاته شيئا لم جاز استثناؤه عن قوله ﴿ كل شيء هالك ﴾ وذلك يدل على أن الله تعالى مسمى بالشيء .

الحجة الثالثة :

قوله عليه السلام في خبر عمران بن الحصين « كان الله ولم يكن شيء غيره » .

وهذا يدل على أن اسم الشيء يقع على الله تعالى .

الحجة الرابعة :

روى عبد الله الأنصاري في الكتاب الذي سماه بالفاروق ، عن عائشة رضي الله عنها ، أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من شيء أغير مِن الله عز وجل » .

الحجة الخامسة :

أن الشيء عبارة عما يصح أن يعلم ويخبر عنه ، وذات الله تعالى كذلك ، فيكون شيئا .

واحتج جهم بوجوه :

الحجة الأولى :

قوله تعالى ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ ، وكذلك قوله ﴿ وهو على كل شيء قدير ﴾ فهذا يقتضي أن يكون كل شيء مخلوقا ومقدورا ، والله تعالى ليس بمخلوق ولا مقدور ، ينتج أن الله سبحانه وتعالى ليس بشيء .

فإن قالوا أن قوله تعالى ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ وقوله ﴿ وهو على كل شيء قدير ﴾ عام دخله التخصيص .

قلنا : الجواب عنه من وجهين :

الأول : أن التخصيص خلاف الأصل ، والدلائل اللفظية يكفي في تقريرها هذا القدر .

الثاني : أن الأصل في جواز التخصيص هو أن أهل العرف يقيمون الأكثر مقام الكل ، فلهذا السبب

ولا شك أن كل شيء مثل لمثل نفسه ، وثبت بهذه الآية أن مثل مثله ليس بشيء .

ينتج أنه تعالى غير مسمى بالشيء .

فإن قالوا أن الكاف زائدة ،

قلنا : هذا الكلام معناه أن هذا الحرف من كلام الله تعالى لغو وعبث وباطل ، ومعلوم أن هذا الكلام هو الباطل ، ومتى قلنا : إن هذا الحرف ليس بباطل ، صارت الحجة التي ذكرناها في غاية القوة والكمال .

لفظ « الشيء » ليس إسما لله ؟ !

الحجة الثالثة :

لفظ الشيء لا يفيد صفة من صفات الجلال والعظمة والمدح والثناء ، وأسماء الله تعالى يجب كونها كذلك .

ينتج أن لفظ الشيء ليس اسما لله تعالى .

أما قولنا أن اسم الشيء لا يفيد المدح والجلال فظاهر .

وذلك لأن المفهوم من لفظ الشيء قدر مشترك بين الذرة الحقيرة وبين أشرف الأشياء .

وإذا كان كذلك كان المفهوم من لفظ الشيء حاصلا في أخس الأشياء ، وذلك يدل على أن اسم الشيء لا يفيد صفة المدح والجلال .

وأما قولنا : أن أسماء الله يجب أن تكون دالة على صفة المدح والجلال ، فالدليل عليه قوله تعالى ﴿ **ولِلَّهِ الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يُلحدون في أسمائه** ﴾ .

والاستدلال بالآية أن كون الأسماء حسنة لا معنى له إلا كونها دالة على الصفات الحسنة الرفيعة الجليلة ، فإذا لم يدل الإسم على هذا المعنى لم يكن الإسم حسنا . . .

ثم إنه تعالى أمرنا بأن ندعوه بهذه الأسماء ، ثم قال بعد ذلك ﴿ **وذروا الذين يُلحِدون في أسمائه** ﴾ وهذا كالتنبيه على أن من دعاه بغير تلك الأسماء الحسنة فقد ألحد في أسماء الله .

فتصير هذه الآية دالة دلالة قوية على أنه ليس للعبد أن يدعو الله إلا بالأسماء الحسنى الدالة على صفات الجلال والمدح .

وإذا ثبت هاتان المقدمتان فقد حصل المطلوب .

لا تقل . . . « يا شيء » ؟ !

الحجة الرابعة :

أنه لم ينقل عن رسول الله ﷺ ، ولا عن أحد من الصحابة ، أنه خاطب الله تعالى بقوله يا شيء .

وكيف يقال ذلك وهذا اللفظ في غاية الحقارة ؟ ! .

فكيف يجوز للعبد خطاب الله بهذا الإسم ؟ !

بل نُقل عنهم أنهم كانوا يقولون : يا منشَىء الأشياء ، يا منشىء الأرض والسماء .

واعلم أن من الناس من يظن أن هذا البحث واقع في المعنى !

وهذا في غاية البعد !

فإنه لا نزاع في أن الله تعالى موجود وذات وحقيقة .

إنما النزاع في أنه هل يجوز اطلاق هذا اللفظ عليه ؟

فهذا نزاع في مجرد اللفظ لا في المعنى .

ولا يجري بسببه تكفير ولا تفسيق .

فليكن الإنسان عالما بهذه الدقيقة ، حتى لا يقع في الغلط .

هل يجوز اطلاق لفظ « الموجود » على الله ؟ !

المسألة الثانية :

في بيان أنه هل يجوز إطلاق لفظ الموجود على الله ؟

إعلم أن هذا البحث يجب أن يكون مسبوقا بمقدمة .

وهي أن لفظ الموجود يقال بالاشتراك على معنيين :

أحدهما :

أن يراد بالوجود الوجدان والادراك والشعور .

ومتى أريد بالوجود الوجدان والإدراك فقد أريد بالموجود لا محالة المدرك والمشعوربه .

والثاني :

أن يراد بالوجود الحصول والتحقق في نفسه .

واعلم أن بين الأمرين فرقا .

وذلك لأنه كونه معلوم الحصول في الأعيان يتوقف على كونه حاصلا في نفسه ، ولا ينعكس .

لأن كونه حاصلا في نفسه لا يتوقف على كونه معلوم الحصول في الأعيان .

لأنه يمتنع في العقل كونه حاصلا في نفسه مع أنه لا يكون معلوما لأحد .

بقي ههنا بحث .

وهو أن لفظ الوجـود هل وضـع أولا للإدراك

والوجدان ، ثم نقل ثانيا إلى حصول الشيء في نفسه ، أو الأمر فيه بالعكس ، أو وضعا معا ؟

فنقول : هذا البحث لفظي .

والأقرب هو الأول .

لأنه لولا شعور الإنسان بذلك الشيء لما عرف حصوله في نفسه .

فلما كان الأمر كذلك وجب أن يكون وضع اللفظ لمعنى الشعور والإدراك سابقا على وضعه لحصول الشيء نفسه .

إذا عرفت هذه المقدمة فنقول :

إطلاق لفظ الموجود على الله تعالى يكون على وجهين :

أحدهما : كونه معلوما مشعورا به .

والثاني : كونه في نفسه ثابتا متحققا .

أما بحسب المعنى الأول فقد جاء في القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ لَوَجَدوا الله ﴾ .

ولفظ الوجود ههنا بمعنى الوجدان والعرفان .

وأما بالمعنى الثاني فهو غير موجود في القرآن .

فإن قالوا : لما حصل الوجود بمعنى الوجدان ، لزم حصول الوجود بمعنى الثبوت والتحقق ، إذ لو كان عدما محضا لما كان الأمر كذلك ؟

فنقول : هذا ضعيف من وجهين :

الأول : أنه لا يلزم من حصول الوجود بمعنى الوجدان والمعرفة حصول الوجود بمعنى الثبوت لما ثبت أن المعدوم قد يكون معلوما

والثاني : أنا بينا أن هذا البحث ليس إلا في اللفظ ، فلا يلزم من حصول الإسم بحسب معنى حصول الإسم بحسب معنى آخر .

ثم نقول : ثبت باجماع المسلمين إطلاق هذا الإسم فوجب القول به .

فإن قالوا : ألستم قلتم إن أسماء الله تعالى يجب كونها دالة على المدح والثناء ، ولفظ الموجود لا يفيد ذلك ؟

قلنا : عدلنا عن هذا الدليل بدلالة الإجماع[1] ، وأيضاً فدلالة لفظ الموجود على المدح أكثر من دلالة لفظ الشيء عليه .

وبيانه من وجوه :

الأول : أنه عند قوم يقع لفظ الشيء على المعدوم كما يقع على الموجود .

أما الموجود فإنه لا يقع على المعدوم البتة .

فكان إشعار هذا اللفظ بالمدح أولى .

الثاني : أن لفظ الموجود بمعنى المعلوم يفيد صفة المدح والثناء .

لأنه يفيد أن بسبب كثرة الدلائل على وجوده وإلاهيته ، صار كأنه معلوم لكل أحد ، موجود عند كل أحد ، واجب الإقرار به عند كل عقل .

فهذا اللفظ أفاد المدح والثناء من هذا الوجه .

---

(١) تأمل حرية الراي عندهم . . . وكيف يرجع الإمام الكبير عن رايه أمام الإجماع ؟ !

فظهر الفرق بينه وبين لفظ الشيء .

ذات الله ؟ !

المسألة الثالثة :

في الذات :

روى عبد الله الأنصاري الهروي ، في الكتاب الذي سماه بالفاروق ، أخبارا تدل على هذا اللفظ :

أحدها : عن عائشة ، عن رسول الله ﷺ أنه قال « **إن من أعظم الناس أجرا الوزير الصالح ، من أمير يطيعه في ذات الله** » .

وثانيها : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن إبراهيم لم يكذب إلا في ثلاث ، ثنتين في ذات الله** » .

وثالثها : عن كعب بن عجرة ، عن أبيه ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تسبوا عليّا ، فإنه كان مخشوشا في ذات الله** » .

ورابعها : عن أبي ذرّ قال : سألت رسول الله

ﷺ : أي الجهاد أفضل ؟ قال : « **أن تجاهد نفسك وهواك في ذات الله** » .

وخامسها : عن النعمان بن بشير ، عن النبي ﷺ قال : « **إن للشيطان مصايد وفخوخا ، منها البطر بأنَعم الله ، والفخر بعطاء الله ، والكبر على عباد الله ، واتباع الهوى في غير ذات الله** » .

وأقول : إن كل شيء حصل به أمر من الأمور ، فإن كان اللفظ الدال على ذلك الشيء مذكرا قيل إنه « ذو » ذلك الأمر ، وإن كان مؤنثا قيل إنها « ذات » ذلك الأمر .

فهذه اللفظة وضعت لإفادة هذه النسبة ، والدلالة على ثبوت هذه الإضافة .

إذا عرفت هذا فنقول : إنه من المحال أن تثبت هذه الصفة لصفة ثانية ، وتلك الصفة الثانية تثبت لصفة ثالثة ، وهكذا إلى غير النهاية .

بل لا بد وأن تنتهى إلى حقيقة واحدة قائمة بنفسها ، مستقلة بماهيتها .

وحينئذ يصدق على تلك الحقيقة أنها ذات تلك الصفات .

فقولنا « إنها ذات كذا وكذا » إنما يصدق في الحقيقة على تلك الماهية القائمة بنفسها .

فلهذا السبب جعلوا هذه اللفظة كاللفظة المفردة الدالة على هذه الحقيقة .

ولما كان الحق تعالى قيوما في ذاته ، كان إطلاق اسم الذات عليه حقا وصدقا .

وأما الأخبار التي رويناها عن الأنصاري الهروي ، فإن شيئاً منها لا يدل على هذا المعنى ، لأنه ليس المراد من لفظ الذات فيها حقيقة الله تعالى وماهيته .

وإنما المراد منه طلب رضوان الله .

ألا ترى أنه قال : « **لم يكذب إبراهيم إلا في ثلاث ، ثنتين في ذات الله** » ؟ . . . أي : في طلب مرضاة الله ، وهكذا الكلام في سائر الأخبار .

لفظ « النفس » ؟ !

المسألة الرابعة :

في لفظ النفس ، وهذا اللفظ وارد في القرآن .

قال تعالى : ﴿ تعلم ما في نفسي ، ولا أعلمُ ما في نفسِك ﴾ .

وقال : ﴿ ويحذِركُمُ اللَّهُ نفسَه ﴾ .

وعن عائشة قالت : كنت نائمة إلى جنب رسول الله ﷺ ، ثم فقدته ، فطلبته ، فوقعت يدي على قدميه وهو ساجد ، وهو يقول : « اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » .

وعن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ أنه قال : « يقول الله تعالى : أنا مع عبدي[1] حين يذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن تقرَّب منى ذراعا تقربت منه باعاً ، وإن جاءني يمشي جئته أهرول » .

---

(١) أي : أنا مع عبدي فورا حين يذكرني . . .
أي : بمجرد توجه القلب وانفتاحه في اتجاهنا ، تدفقت رحماتنا فورا إلى ذلك القلب .

والخبر الثالث ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله الخلق ، كتب في كتابه على نفسه ، وهو مرفوع فوق العرش : إن رحمتي تغلب غضبي »

والخبر الرابع ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس أحد أحب إليه المدح من الله تعالى ، ومن أجل ذلك مدح نفسه ، وليس أحد أغير من الله ، ومن أجل ذلك حرم الفواحش ، وليس أحد أحب إليه العذر من الله ، ومن أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل » .

الخبر الخامس ، عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ علَّمها هذا التسبيح : سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ومداد كلماته ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه . . .

الخبر السادس : روى أبو ذرّ عن النبي عليه الصلاة والسلام ، عن الله سبحانه وتعالى ، أنه قال : « حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظالموا » . . . وتمام الخبر مشهور .

الخبر السابع : عن آبن عمر ، أن النبي ﷺ قرأ ذات يوم على المنبر (**وما قدروا الله حق قدره**) **ثم أخذ يمجد الله نفسه : أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أنا العزيز ، أنا الكريم ، فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى خفنا سقوطه** .

الخبر الثامن : عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ أنه قال : **التقى آدم وموسى عليهما السلام ، فقال له موسى : أنت الذي أشقيت الناس فأخرجتهم من الجنة ؟ قال آدم : أنت الذي اصطفاك الله برسالته ، واصطنعك لنفسه ، وأنزل عليه التوراة ، فهل وجدت كتبه عليَّ قبل أن يخلقني ؟ . قال : نعم ، قال : فحج آدم موسى ـ ثلاث مرات ـ »** .

الخبر التاسع : عن جابر رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يقول الله تعالى : هذا دين ارتضيته لنفسي ، ولن يصلحه إلا السخاء ، وحسن الخلق ، فأكرموه بهما** » .

الخبر العاشر : عن أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ ، يرويه عن ربه ، أنه قال : « **من أهان لي وليا فقد**

بارزني بالمحاربة ، فلا أبالي في أي واد من الدنيا أهلكه ، وأقذفه في جهنم .

« وما ترددت في نفسي في قضاء شيء قضيت ، ترددي في قبض عبدي المؤمن ، يكره الموت ولا بد له منه ، وأكره مساءته » .

الخبر الحادي عشر : عن عبد الله ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : ما قال عبد قط إذا أصابه هم أو حزن : اللهم إني عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماض فيّ حكمك ، عدل فيّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي وغمي ، إلا أذهب الله همه وغمه ، وأبد له مكان حزنه فرحا » .

الخبر الثاني عشر : عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : إن الله تعالى بعثني رحمة للعالمين ، وأن أكسر المعازف والأصنام ، وأقسم ربي على نفسه أن لا يشرب عبد خمرا ثم لم يتب إلى الله

تعالى منه إلا سقاه الله تعالى من طينة الخبال . فقال : قلت : يا رسول الله ، وما طينة الخبال ؟ . قال : « صديد أهل جهنم » .

واعلم أن النفس عبارة عن ذات الشيء ، وحقيقته ، وهويته .

وليس عبارة عن الجسم المركب من الأجزاء .

لأن كل جسم مركب ، وكل مركب ممكن ، وكل ممكن محدث ، وذلك على الله محال .

فوجب حمل لفظ النفس على ما ذكرناه .

لفظ « الشخص » ؟ !

المسألة الخامسة :

في لفظ الشخص .

عن سعد بن عبادة ، عن النبي ﷺ قال : **« لا شخص أغير من الله ، ومن أجل غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا شخص أحب إليه العذر من الله ، ومن أجل ذلك بعث المرسلين مبشرين ومنذرين ، ولا شخص أحب إليه المدح من الله »** .

واعلم أنه لا يمكن أن يكون المراد من الشخص الجسم الذي له تشخص وحجمية ، بل المراد منه الذات المخصوصة والحقيقة المعينة في نفسها تعينا باعتباره يمتاز عن غيره .

هل يجوز اطلاق « النور » على الله ؟ !

المسألة السادسة :

في أنه هل يجوز اطلاق لفظ النور على الله ؟

قال الله تعالى ﴿ اللَّهُ نورُ السماواتِ والأرضِ ﴾ .

وأما الأخبار ، فروى أنه قيل لعبد الله بن عمر : نقل عنك أنك تقول : الشقي من شقى في بطن أمه ؟ ! . فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الله خلق الخلق في ظلمة ، ثم ألقى عليهم من نوره ، فمن أصابه من ذلك النور شيء فقد إهتدى ، ومن أخطأ فقد ضل** » **فلذلك أقول : جف القلم على علم الله تعالى .**

واعلم أن القول بأن الله تعالى هو هذا النور أو من جنسه قول باطل .

ويدل عليه وجوه :

الأول : أن النور إما أن يكون جسما أو كيفية في جسم ، والجسم محدث فكيفياته أيضاً محدثة ، وجل الإله عن أن يكون محدثا .

الثاني : أن النور تضاده الظلمة ، والإله منزه عن أن يكون له ضد .

الثالث : أن النور يزول ويحصل له أفول ، والله منزه عن الأفول والزوال .

وأما قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نورُ السماواتِ والأرضِ ﴾ فجوابه أن هذه الآية من المتشابهات ، والدليل عليه ما ذكرناه من الدلائل العقلية .

وأيضاً فإنه تعالى قال عقيب هذه الآية ﴿ مَثَلُ نُورِهِ ﴾ فأضاف النور إلى نفسه إضافة الملك إلى مالكه .

فهذا يدل على أنه في ذاته ليس بنور ، بل هو خالق النور .

بقي أن يقال : فما المقتضى لحسن إطلاق لفظ « النور » عليه ؟

فنقول فيه وجوه :

الأول : قرأ بعضهم ﴿ لِلَّهِ نور السماوات والأرض ﴾ وعلى هذه القراءة فالشبهة زائلة .

والثاني : أنه سبحانه منور الأنوار ، ومبدعها وخالقها ؛ فلهذا التأويل حسن إطلاق النور عليه .

والثالث : أن بحكمته حصلت مصالح العالم ، وانتظمت مهمات الدنيا والآخرة ، ومن كان ناظما للمصالح وساعيا في الخيرات فقد يسمى بالنور ، يقال : فلان نور هذه البلد ، إذا كان موصوفا بالصفة المذكورة .

والرابع : أنه هو الذي تفضل على عباده بالإيمان والهداية والمعرفة ، وهذه الصفات من جنس الأنوار ، ويدل عليه القرآن والأخبار .

أما القرآن فقوله تعالى في آخر الآية ﴿ نورٌ على نُورٍ ، يهدِي اللَّهُ لنورِهِ مَن يشاء ﴾ .

وأما الأخبار فكثيرة :

الخبر الأول : ما روى أبو أمامة الباهلي ، عن النبي ﷺ أنه قال : « اتقوا فِراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله » .

الخبر الثاني : عن أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ أنه قال : « هل تدرون أي الناس أكيس ؟

« قالوا : الله ورسوله أعلم .

« قال : أكثرهم للموت ذكرا ، وأحسنهم له استعدادا .

« قالوا : يا رسول الله ، هل لذلك من علامة ؟

« قال : نعم ، التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، فإذا دخل النور في القلب إنفسح واتسع للإستعداد قبل نزول الموت » .

الخبر الثالث : عن ابن مسعود قال : تلا النبي ﷺ قوله تعالى : ﴿ أفمَن شَرَحَ اللَّهُ صدْرَهُ للإسلامِ فهو على نُورٍ مِن ربِّه ﴾ .

« فقلت : يا رسول الله ، كيف يشرح الله صدره ؟

« قال : إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح .

« فقلت : ما علامة ذلك يا رسول الله ؟

« قال : **الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والتأهب للموت قبل نزول الموت** » .

الخبر الرابع : عن أنس رضي الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ يمشي في طريق ، إذ لقيه حارثة ، فقال رسول الله ﷺ : **كيف أصبحت يا حارثة ؟**

« قال : أصبحت والله مؤمنا حقا .

« فقال عليه الصلاة والسلام : **انظر ما تقول ، فإن لكل حق حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟**

« فقال : **عزفت نفسي عن الدنيا ، وأسهرت ليلي ، وأظمأت نهاري ، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وإلى أهل النار يتعاوون فيها** .

« فقال عليه الصلاة والسلام : **عرفت فالزم** .

« ثم قال رسول الله ﷺ : « **من سره أن ينظر إلى رجل نور الله الإيمان في قلبه فلينظر إلى هذا** .

« ثم قال : يا رسول الله ، ادع الله لي بالشهادة .

« فدعا له

« فنودي بعد ذلك : يا خيل الله اركبي ، فكان أول فارس ركب ، فاستشهد في سبيل الله » .

الخبر الخامس : عن ابن عباس رضي الله عنه قال : بينما أنا جالس عند النبي ﷺ إذ سمع صوتا من فوقه ، فرفع رأسه إلى السماء فقال :

« إن هذا الباب من السماء قد فتح ، وما فتح قط ، فنزل منه ملك فقال : يا محمد ابشر بنورين لم يؤتهما أحد من قبلك : فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة » .

الخبر السادس : عن يعلى بن منبه قال : قال رسول الله ﷺ : « يمر المؤمن على الصراط يوم القيامة فتناديه النار : « جز عني يا مؤمن ، فقد أطفأ نورك لهبي » .

الخبر السابع : عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، أن النبي ﷺ كان يقول : « اللهم بك نصبح ، وبك نمسي ، وبك نحيا ، وبك نموت ، وإليك النشور .

« اللهم اجعلني من أفضل عبادك عندك حظا

ونصيبا ، في كل خير تقسمه اليوم : من نور تهدي به ، أو رحمة تنشرها ، أو رزق تبسطه ، أو ضر تكشفه ، أو بلاء تدفعه ، أو سوء ترفعه ، أو فتنة تصرفها » .

الخبر الثامن : عن عليَّ بن أبي طالب عليه السلام ، عن النبي ﷺ أنه سئل عن أهل الجنة فقالَ : « أهل الجنة شعث رؤسهم ، وسخة ثيابهم[1] ، لو قسم نور أحدهم على أهل الأرض لوسعهم » .

الخبر التاسع : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ : أن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين .

« إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم .

« وإذا خطبوا النساء لم ينكحوا .

« وإذا قالوا لم ينصت لقولهم .

« حاجة أحدهم تتلجلج في صدره .

---

(١) ليس المراد أنهم يتعمدون ذلك ، وإنما المراد أنهم كادحون ، يكدحون في هذه الحياة ، وتفرض عليهم ظروف الحياة أن يكونوا هكذا . . . أما هؤلاء الذين يفتعلون الظهور بمظهر الفقراء ، فهم أبغد الناس عن أهل النور .

« لو قسم نوره على أهل الأرض لوسعهم »[1] .

---

(١) أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله !!!

إن مثل هذا التحديد لأهل الجنة . . . مستحيل أن يصدر إلا عن رسول الله ﷺ !!!

تكاد العيون . . . عيون أهل النور . . . تفيض من الدمع . . . تأثرا . . . أن حَدَّد لها رسول الله ﷺ . . . صفات أهل الجنة !!!

كل أشعث أغبر ؟ ! . . . كل كادح لم تدع له قسوة الحياة فرصة ليلتفت إلى الزينة ! . . .

إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم !!!

هذه مؤثرة جدا . . . إنهم لا وزن لهم عند أهل المناصب !!!

وإذا خطبوا النساء لم ينكحوا . . . ولا قيمة لهم عند النساء . . . لأنهم ليسوا أهل دنيا يطمع فيها !!

وإذا قالوا لهم ينصت لقولهم !! . . . لأنهم لا يستطيعون حيلة . . . والناس لا تلتفت إلا لأهل الإمكانيات . . .

ثم يعلو ﷺ . . . ويعلو . . . ويعلو . . . ويطلقها اشعاعا من نور . . . لا أول له ولا آخر . . . « حاجة أحدهم تتلجلج في صدره » ؟ !! . . .

نعم . . . هم هكذا يا رسول الله . . . صدقت يا سيدي . . . هم كذلك حقا . . . لأنهم لا يبوحون برغباتهم إلا إليه تعالى . . .

هذه صفاتهم الظاهرة . . .

وأما حقيقة بواطنهم . . . **« لو قسم نوره على أهل الأرض لوسعهم » !!!**

ما أعظمهم !!!

الخبر العاشر : عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله عز وجل يقول : نوري هداي ، و « لا إله إلا الله » كلمتي ، فمن قالها أدخلته حصني ، ومن أدخلته حصني فقد أمن** » .

الخبر الحادي عشر : عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ كان يدعو : « **أعوذ بكلمات الله التامة ، وبنوره الذي أشرقت له الأرض ، وأضاءت به الظلمات ، من زوال نعمتك ، ومن تحول عافيتك ، ومن فجأة نقمتك ، ومن درك الشقاء ، وشر قد سبق** » .

الخبر الثاني عشر : عن النبي ﷺ أنه كان يقول : « **اللهم اجعل في قلبي نورا ، وفي سمعي نورا ، وفي بصري نورا** » والحديث مشهور .

الصورة ؟ !

المسألة السابعة :

في لفظ الصورة ، وفيه أخبار :

الخبر الأول : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن

النبي ﷺ أنه قال : « **إن الله خلق آدم على صورته** » .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تقبحوا الوجه فإن الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن** » .

قال اسحاق بن راهويه : صح عن رسول الله ﷺ : « **إن الله خلق آدم على صورة الرحمن** » .

الخبر الثاني : عن معاذ بن جبل قال : صلَّى بنا رسول الله ﷺ ذات غدوة فقال له قائل : **ما رأيتك أسفر وجهك مثل الغداة ؟**

« **قال : وما أبالي ، وقد بدا لي ربي في أحسن صورة .**

« **فقال : فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد ؟**

« **قلت : أنت أعلم أي ربي .**

« **فوضع كفيه بين كتفي ، فوجدت بردها ، فعلمت ما في السماوات والأرض** »

واعلم أن العلماء ذكروا في تأويل هذه الأخبار وجوها :

(الأول) أن قوله « إن الله خلق آدم على صورته » الضمير عائد إلى المضروب .

يعني أن الله تعالى خلق آدم على صورة المضروب ، فوجب الإحتراز عن تقبيح وجه ذلك المضروب .

(الثاني) أن المراد أن الله خلق آدم على صورته التي كان في آخر أمره ، يعني أنه ما تولد عن نطفة ودم وما كان جنينا ورضيعا ، بل خلقه الله رجلا كاملا دفعة واحدة .

(الثالث) أن المراد من الصورة الصفة ، يقال صورة هذا الأمر كذا ، أي : صفته ، فقوله « خلق الله آدم على صورة الرحمن » أي : خلقه على صفته في كونه خليفة له في أرضه متصرفا في جميع الأجسام الأرضية ، كما أنه تعالى نافذ القدرة في جميع العالم .

هل هو جوهر ؟ !

المسألة الثامنة :

الفلاسفة قد يطلقون لفظ « الجوهر » على ذات الله تعالى .

وكذلك النصارى

والمتكلمون يمتنعون منه .

أما الفلاسفة فقالوا : المراد من الجوهر الذات المستغنى عن المحل والموضوع ، والله تعالى كذلك ، فوجب أن يكون جوهرا .

فالجوهر « فوعل »واشتقاقه من الجهر ، وهو الظهور ، فسمى الجوهر جوهرا لكونه ظاهراً بسبب شخصيته وحجميته ، فكونه جوهراً عبارة عن كونه ظاهر الوجود .

وأما حجميته فليست نفس الجوهر ، بل هي سبب لكونه جوهراً وهو ظهور وجوده .

والحق سبحانه وتعالى أظهر من كل ظاهر بحسب كثرة الدلائل على وجوده ، فكان أولى الأشياء بالجوهرية . . . هو هو .

وأما المتكلمون فقالوا : أجمع المسلمون على الإمتناع عن هذا اللفظ فوجب الإمتناع منه .

لفظ « الجسم » ؟ !

المسألة التاسعة :

أطلق أكثر الكرامية لفظ « الجسم » على الله تعالى فقالوا :

لا نريد به كونه مركبا مؤلفا من الأعضاء ، وإنما نريد به كونه موجوداً ، قائما بالنفس ، غنيا عن المحل .

وأما سائر الفرق فقد أطبقوا على إنكار هذا الإسم .

تعالى عما يصفون ؟ !

ولنا مع الكرامية مقامان :

المقام الأول : أنا لا نسلم أنهم أرادوا بكونه جسما معنى غير الطول والعرض والعمق .

وكيف لا نقول ذلك وأنهم يقولون : أنه تعالى فوق العرش ، ولا يقولون إنه في الصغير مثل الجوهر الفرد ، والجزء الذي لا يتجزأ ، بل يقولون : إنه أعظم من العرش ؟ !

وكل ما كان كذلك كانت ذاته ممتدة من أحد جانبي العرش إلى الجانب الآخر ، فكان طويلاً عريضاً عميقاً ، فكان جسما بمعنى كونه طويلاً عريضاً عميقاً ،

فثبت أن قولهم إنا أردنا بكونه جسما معنى غير هذا المعنى كذب محض وتزوير صرف .

المقام الثاني : أن نقول : لفظ الجسم لفظ يوهم معنى باطلاً .

وليس في القرآن والأحاديث ما يدل على وروده ، فوجب الإمتناع منه .

لا سيما والمتكلمون قالوا : لفظ الجسم يفيد كثرة الأجزاء بحسب الطول والعرض والعمق ، فوجب أن يكون لفظ الجسم يفيد أصل هذا المعنى .

لفظ « الأنية » ؟ !

المسألة العاشرة :

في إطلاق لفظ « الأنية » على الله تعالى :

إعلم أن هذه اللفظة تستعملها الفلاسفة كثيراً .

وشرحه بحسب أصل اللغة أن لفظ « إن » في لغة العرب تفيد التأكيد والقوة في الوجود .

ولما كان الحق سبحانه وتعالى واجب الوجود لذاته .

وكان واجب الوجود أكمل الموجودات في تأكد الوجود ، وفي قوة الوجود ، لا جرم أطلقت الفلاسفة بهذا التأويل لفظ الأنية عليه .

لفظ « الماهية » ؟ !

المسألة الحادية عشر :

في إطلاق لفظ الماهية عليه :

إعلم أن لفظ « الماهية » ليس لفظا مفرداً بحسب أصل اللغة ، بل الرجل إذا أراد أن يسأل عن حقيقة من الحقائق فإنه يقول : ما تلك الحقيقة وما هي ؟

وكان النبي ﷺ يقول : **أرنا الأشياء كما هي** .

فلما كثر السؤال عن معرفة الحقائق بهذه اللفظة جعلوا مجموع قولنا ما هي كاللفظة المفردة ، ووضعوا هذه اللفظة بإزاء الحقيقة فقالوا ماهية الشيء ، أي حقيقته المخصوصة وذاته المخصوصة .

الحق ؟ !

المسألة الثانية عشرة :

في إطلاق لفظ « الحق » :

إعلم أن هذا اللفظ إن أطلق على ذات الشيء كان المراد كونه موجودا وجودا حقيقيا في نفسه .

والدليل عليه أن الحق مقابل للباطل ، والباطل هو المعدوم .

قال لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل .

فلما كان مقابل الحق هو المعدوم وجب أن يكون الحق هو الموجود .

وأما إن أطلق لفظ الحق على الإعتقاد كان المراد أن ذلك الإعتقاد صواب مطابق للشيء في نفسه .

وإنما سمي هذا الإعتقاد بالحق لأنه إذا كان صوابا مطابقا كان واجب التقرير والإبقاء .

وأما إن أطلق لفظ الحق على القول والخبر كان المراد أن ذلك الأخبار صدق مطابق .

لأنه إذا كان كذلك كان ذلك القول واجب التقرير والإبقاء .

إذا ثبت هذا فنقول :

إن الله تعالى هو المستحق لإسم الحق ، أما بحسب ذاته فلأنه هو الموجود الذي يمتنع عدمه وزواله .

وأما بحسب الإعتقاد فلأن الأعتقاد هو إعتقاد وجوده ووجوبه هو الأعتقاد الصواب المطابق الذي لا يتغير عن هذه الصفة .

وأما بحسب الأخبار والذكر فلأن هذا الخبر أحق الأخبار بكونه صدقا واجب التقرير .

فثبت أنه تعالى هو الحق بحسب جميع الأعتبارات والمفهومات .

والله الموفق الهادي .

الأزليّ الأبديّ ؟ !

القسم الثاني من هذا الباب ، الأسماء الدالة على كيفية الوجود :

أعلم أن الكلام في هذا الباب يجب أن يكون مسبوقا بمقدمات عقلية .

المقدمة الأولى :

إعلم أن كونه تعالى أزليا أبديا لا يوجب القول بوجود زمان لا آخر له .

وذلك لأنا نقول : كون الشيء دائم الوجود في ذاته إما أن يتوقف على حصوله في زمان أو لا يتوقف عليه .

فإن لم يتوقف عليه فهو المقصود .

لأن على هذا التقدير يكون تعالى أزليا أبديا من غير حاجة إلى القول بوجود زمان آخر .

وأما أن توقف عليه فنقول : ذلك الزمان إما أن يكون أزليا أو لا يكون .

فإن كان ذلك الزمان أزليا ، فالتقدير هو أن كونه أزليا لا يتقرر إلا بسبب زمان آخر .

فحينئذ يلزم افتقار الزمان إلى زمان آخر ، فيلزم التسلسل .

وأما أن قلنا أن ذلك الزمان ليس أزليا فحينئذ قد كان الله أزليا موجودا قبل ذلك الزمان .

وذلك يدل على أن الدوام لا يفتقر إلى وجود زمان آخر ، وهو المطلوب .

فثبت أن كونه تعالى أزليا لا يوجب الإعتراف يكون الزمان أزليا .

هو الأول والآخر ؟ !

المقدمة الثانية :

أن الشيء كلما كان أزليا كان باقيا ، لكن لا يلزم من كون الشيء باقيا كونه أزليا .

ولفظ « الباقي » ورد في القرآن ، قال الله تعالى ﴿ **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّك** ﴾ ، وأيضاً قال تعالى ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَه** ﴾ والذي لا يصير هالكا يكون باقيا لا محالة .

وأيضا قال تعالى ﴿ **هو الأوَّلُ والآخِرُ** ﴾ فجعله أولا لكل ما سواه .

وما كان أولاً لكل ما سواه امتنع أن يكون له أول .

إذ لو كان له أول لامتنع أن يكون أولا لأول نفسه .

ولو كان له آخر لامتنع كونه آخرا لآخر نفسه .

فلما كان أولا لكل ما سواه .

وكان آخرا لكل ما سواه .

امتنع أن يكون له أول وآخر .

فهذا اللفظ يدل على كونه تعالى أزليا لا أول له ، أبديا لا آخر له .

القديم ؟ !

المقدمة الثالثة :

لو كان صانع العالم محدثا لافتقر إلى صانع آخر ولزم التسلسل ، وهو محال فهو قديم .

وإذا ثبت أنه قديم وجب أن يمتنع زواله ، لأن ما ثبت قدمه امتنع عدمه .

إذا ثبتت هذه المقدمات فلنشرع في تفسير الأسماء : ـ

الإسم الأول :

القديم . . . واعلم أن هذا اللفظ يفيد في أصل اللغة طول المدة ، ولا يفيد نفي الأولية يقال : دار قديم إذا طالت مدته ، قال الله تعالى ﴿ حتى عادَ كالعُرْجونِ القديمِ ﴾ وقال ﴿ إنك لفي ضلالِك القديم ﴾ .

الإسم الثاني . . .

الأزليّ ؟ !

وهذا اللفظ يفيد الإنتساب إلى الأزل ، فهذا يوهم أن الأزل شيء حصل ذات الله فيه ، وهذا باطل .

إذ لو كان الأمر كذلك لكانت ذات الله مفتقرة إلى ذلك الشيء ومحتاجة إليه ، وهو محال .

بل المراد وجود لا أول له البتة .

الإسم الثالث : قولنا . . .

لا أول له ؟ !

وهذا اللفظ صريح في المقصود .

واختلفوا في أن قولنا لا أول له صفة ثبوتية أو عدمية ؟

قال بعضهم : أن قولنا لا أول له إشارة إلى نفي العدم السابق ، ونفي النفي إثبات .

فقولنا لا أول له ، وإن كان بحسب اللفظ عدما إلا أنه في الحقيقة ثبوت .

وقال آخرون : أنه مفهوم عدمي ، لأنه نفي لكون الشيء مسبوقا بالعدم ، وفرق بين العدم وبين كونه مسبوقا بالعدم .

فكونه مسبوقا بالعدم كيفية ثبوتية ، فقولنا لا أول له سلب لتلك الكيفية الثبوتية ، فكان قولنا لا أول مفهوما عدميا .

وأجاب الأولون عنه بأن كونه مسبوقا بالعدم لو كان كيفية وجودية زائدة على ذاته لكانت تلك الكيفية الزائدة حادثة ، فكانت مسبوقة بالعدم ، فكان كونها كذلك صفة أخرى ، ولزم التسلسل ، وهو محال .

الإسم الرابع . . .

الأبديّ ؟ !

وهو يفيد الدوام بحسب الزمان المستقبل .

الإسم الخامس . . .

السرمديّ ؟ !

واشتقاق هذه اللفظة في السَرْد ، وهو التوالي والتعاقب .

قال عليه الصلاة والسلام في الأشهر الحرم : « واحد فَرْد ، وثلاثة سَرْد » أي متعاقبة .

ولما كان الزمان إنما يبقى بسبب تعاقب أجزائه وتلاحق أبعاضه ، وكان ذلك التعاقب والتلاحق مسمى بالسَرْد أدخلوا عليه الميم الزائدة ليفيد المبالغة في ذلك المعنى .

إذا عرفت هذا فنقول :

الأصل في لفظ السرمد أن لا يقع إلا على الشيء الذي تحدث أجزاؤه بعضها عقيب البعض .

ولما كان هذا المعنى في حق الله تعالى محالا ، كان إطلاق لفظ السرمدي عليه مجازا ، فإن ورد في الكتاب والسُنَّة أطلقناه وإلا فلا .

الإسم السادس . . .

المستمرُّ ؟ !

وهذا بناء الإستفعال ، وأصله المرور والذهاب .

ولما كان بقاء الزمان بسبب مرور أجزائه بعضها عقيب البعض لا جرم أطلقوا المستمر .

إلا أن هذا إنما يصدق في حق الزمان ، أما في حق الله فهو محال ، لأنه باق بحسب ذاته المعنية لا بحسب تلاحق أبعاضه وأجزائه .

الإسم السابع . . .

الممتدُّ ؟ !

وسميت المدة مدة لأنها تمتد بحسب تلاحق أجزائها وتعاقب أبعاضها فيكون قولنا في الشيء ، إنه امتد وجوده إنما يصح في حق الزمان والزمانيات ، أما في حق الله تعالى فعلى المجاز .

الإسم الثامن . . .

لفظ « الباقي » ؟ !

قال تعالى ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ .

واعلم أن كل ما كان أزليا كان باقيا ولا ينعكس .

فقد يكون باقيا ولا يكون أزليا ولا أبديا ، كما في الأجسام والأعراض الباقية .

ومن الناس من قال : لفظ الباقي يفيد الدوام ، وعلى هذا لا يصح وصف الأجسام بالباقي .

وليس الأمر كذلك ، لأطباق أهل العرف على قول بعضهم لبعض أبقاك الله .

الإسم التاسع . . .

الدائم ؟ !

قال تعالى ﴿ أُكُلُها دائمٌ ﴾ .

ولما كان أحق الأشياء بالدوام هو الله كان الدائم هو الله .

الإسم العاشر . . . قولنا . . .

واجب الوجود لذاته ؟ !

ومعناه أن ماهيته وحقيقته هي الموجبة لوجوده .

وكل ما كان كذلك فإنه يكون ممتنع العدم والفناء .

واعلم أن كل ما كان واجب الوجود لذاته وجب أن يكون قديما أزليا ، ولا ينعكس .

فليس كل ما كان قديما أزليا كان واجب الوجود لذاته .

لأنه لا يبعد أن يكون الشيء معللا بعلة أزلية أبدية ، فحينئذ يجب كونه أزليا أبديا بسبب كون علته كذلك ، فهذا الشيء يكون أزليا أبديا مع أنه لا يكون واجب الوجود لذاته . . .

الإسم الحادي عشر . . .

الكائن ؟ !

واعلم أن هذا اللفظ كثير الورود في القرآن بحسب صفات الله تعالى .

قال الله تعالى : ﴿ **وكان الله على كل شيء مُقْتَدِراً** ﴾ .

وقال : ﴿ **إنَّ اللَّهَ كان عليماً حكيماً** ﴾ .

وأما ورود هذا اللفظ بحسب ذات الله تعالى فهو غير وارد في القرآن ، ولكنه وارد في بعض الأخبار .

روى في الأدعية المأثورة عن النبي ﷺ : « **يا كائناً قبل كل كون ، ويا حاضراً مع كل كون ، ويا باقيا بعد انقضاء كل كون** » . . . أو لفظ يقرب معناه مما ذكرناه ويناسبه من بعض الوجوه . . .

الصفة المغايرة للوجود ؟ !

القسم الثالث من أقسام الصفات الحقيقية :

الصفة التي تكون مغايرة للوجود ولكيفيات الوجود .

إعلم أن هذا البحث مبني على أنه هل يجوز قيام هذه الصفات بذات الله تعالى ؟

فالمعتزلة والفلاسفة ينكرونه أشد الإنكار . . .

. . . . . .

دلائل مثبتي القول بالصفات ؟ !

إعلم أن إله العالم يجب أن يكون عالماً قادراً حيًّا .

فنقول يمتنع أن يكون علمه وقدرته نفس تلك الذات ، ويدل عليه وجوه .

(الأول) أنا ندرك تفرقة ضرورية بـديهية بين قولنا : ذات الله ذات ؛ وبين قولنا : ذات الله عالمة قادرة ، وذلك يدل على أن كونه عالماً قادراً ليس نفس تلك الذات .

(الثاني) أنه يمكن العلم بكونه مـوجودا مـع الذهول عن كونه قادرا وعالما .

وكذلك يمكن أن يعلم كونه قادرا مع الذهول عن كونه عالما ، وبالعكس .

وذلك يدل على أن كونه عالما ليس نفس تلك الذات .

(الثالث) أن كونه عالما عام التعلق بالنسبة إلى الواجب والممتنع والممكن .

وكونه قادرا ليس عام التعلق بالنسبة إلى الأقسام الثلاثة ، بل هو مختص بالجائز فقط ، ولولا الفرق بين العلم وبين القدرة وإلا لما كان كذلك .

(الرابع) أن كونه تعالى قادرا يؤثر في وجود المقدور ، وكونه عالما لا يؤثر ، ولولا المغايرة ، وإلا لما كان كذلك .

(الخامس) أن قولنا : موجود ، يناقضه قولنا : ليس بموجود ، ولا يناقضه قولنا : ليس بعالم ، وذلك يدل على أن المنفي بقولنا : ليس بموجود مغاير للمنفي بقولنا : ليس بعالم ، وكذا القول في كونه قادرا .

فهذه دلائل واضحة على أنه لا بد من الإقرار بوجود الصفات لله تعالى .

إلا أنه بقي أن يقال :

لم لا يجوز أن تكون هذه الصفات صفات نسبية وإضافية ؟

فالمعنى من « كونه قادراً » كونه بحيث يصح منه الإيجاد ، وتلك الصحة معللة بذاته .

و « كونه عالماً » معناه الشعور والإدراك ، وذلك حالة نسبية إضافية .

وتلك النسبية الحاصلة معللة بذاته المخصوصة ، وهذا تمام الكلام في هذا الباب .

صفة الحياة ؟ !

إذا قلنا باثبات الصفات الحقيقية فنقول :

الصفة الحقيقية إما أن تكون صفة يلزمها حصول النسبة والإضافة ، وهي مثل العلم والقدرة ، فإن العلم صفة يلزمها كونها متعلقة بالمعلوم ، والقدرة صفة يلزمها صحة تعلقها بإيجاد المقدور .

فهذه الصفات وإن كانت حقيقية إلا أنه يلزمها لوازم من باب النسب والإضافات .

أما الصفة الحقيقية العارية عن النسبة والإضافة في حق الله تعالى ، فليست إلا صفة الحياة .

فلنبحث عن هذه الصفة فنقول :

قالت الفلاسفة :

الحي هو الدراك الفعال ، إلا أن الدراكية صفة نسبية ، والفعالية أيضاً كذلك ، وحينئذ لا تكون الحياة صفة مغايرة للعلم والقدرة على هذا القول .

وقال المتكلمون : إنها صفة باعتبارها يصح أن يكون عالما قادرا ، واحتجوا عليه بأن الذوات متساوية في الذاتية ومختلفة في هذه الصحة ، فلا بد وأن تكون تلك الذوات مختلفة في قبول صفة الحياة ، فوجب أن تكون صحيحة لأجل صفة زائدة .

فيقال لهم : قد دللنا على أن ذات الله تعالى مخالفة لسائر الذوات لذاته المخصوصة ، فسقط هذا الدليل .

وأيضاً الذوات مختلفة في قبول صفة الحياة ، فوجب أن يكون صحة قبول الحياة لصفة أخرى ، ولزم التسلسل .

ولا جواب عنه إلا أن يقال : إن تلك الصحة من لوازم الذات المخصوصة فاذكروا هذا الكلام في صحة العالمية .

ولفظ الحي وارد في القرآن .

قال الله تبارك وتعالى ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ﴾ .

وقال ﴿ وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيِّ القَيُّومِ ﴾ .

وقال ﴿ هُوَ الحَيُّ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ فادْعُوُه مُخْلِصينَ له الدِّينَ ﴾ .

فإن قيل : الحي معناه الدراك الفعال أو الذي لا يمتنع أن يعلم ويقدر ، وهذا القدر ليس فيه مدح عظيم ، فما السبب في أن ذكره الله تعالى في معرض المدح العظيم ؟

فالجواب : إن التمدح لم يحصل بمجرد كونه حيا ، بل بمجموع كونه حيا قيوما .

وذلك لأن القيوم هو القائم باصلاح حال كل ما سواه .

وذلك لا يتم إلا بالعلم التام والقدرة التامة .

والحي هو الدراك الفعال ، فقوله « **الحي** » يعني كونه داركاً فعالاً ،

وقوله « **القيوم** » يعني كونه دراكا لجميع الممكنات ، فعالا لجميع المحدثات والممكنات ، فحصل المدح من هذا الوجه[1] .

---

(١) بل المدح حصل أيضاً بمجرد قوله سبحانه « هو الحيّ » وحدها . . . =

الصفات الإضافية ؟ !

في الأسماء الدالة على الصفات الإضافية .

إعلم أن الكلام في هذا الباب يجب أن يكون مسبوقا بمقدمة عقلية .

وهي أن التكوين هل هو نفس المكون أم لا ؟

قالت المعتزلة والأشعرية : التكوين نفس المكون .

وقال آخرون : إنه غيره .

واحتج النفاة بوجوه : ـ

الحجة الأولى : أن الصفة المسماة بالتكوين إما

وقد ذكرها سبحانه وحدها حين قال « **هو الحي لا إله إلا هو فادعوه** . . . » .

فأشعرت فورا أنها شيء عظيم عظيم !!!

هو الحيُّ ؟ !!

إذا تلألأت وحدها . . . استشعر القلب فورا . . . أن حياته سبحانه شيء غير حياة كل شيء . . .

هو الحيُّ ؟ !!

ما أعظمها . . . وحدها !!!

أن تؤثر على سبيل الصحة أو على سبيل الوجوب .

فإن كان الأول فتلك الصفة هي القدرة لا غير .

وإن كان الثاني لزم كونه تعالى موجبا بالذات لا فاعلا بالإختيار .

هل صفة التكوين قديمة ؟ !

الحجة الثانية : أن تلك الصفة المسماة بالتكوين إن كانت قديمة لزم من قدمها قدم الآثار ، وإن كانت محدثة افتقر تكوينها إلى تكوين آخر ، ولزم التسلسل .

الحجة الثالثة : أن الصفة المسماة بالقدرة إما أن يكون لها صلاحية التأثير عند حصول سائر الشرائط من العلم والإرادة ، أو ليس لها هذه الصلاحية .

فإن كان الأول فحينئذ تكون القدرة كافية في خروج الأثر من العدم إلى الوجود .

وعلى هذا التقدير فلا حاجة إلى إثبات صفة أخرى .

وإن كان الثاني فحينئذ القدرة لا تكون لها صلاحية

التأثير ، فوجب أن لا تكون القدرة قدرة ، وذلك يوجب التناقض .

واحتج مثبتو قدم الصفة بأن القادر قد يوجده وقد لا يوجده .

ألا ترى أن الله تعالى قادر على خلق ألف شمس وقمر على هذه السماء ، إلا أنه ما أوجده .

وصحة هذا النفي والإثبات يدل على أن المعقول من كونه موجدا مغاير للعقول من كونه قادرا .

ثم نقول : كونه موجدا إما أن يكون معناه دخول الأثر في الوجود ، أو يكون أمرا زائدا .

والأول باطل ، لأنا نعلل دخول هذا الأثر في الوجود يكون الفاعل موجدا له ، ألا ترى أنه إذا قيل : لم وجد العالم ؟

قلنا : لأجل أن الله أوجده .

فلو كان كون الموجد موجدا له معناه نفس هذا الأثر لكان تعليل وجود الأثر بالموجدية يقتضي تعليل وجوده نفسه ، ولو كان معللا بنفسه لامتنع إسناده إلى

الغير ، فثبت أن تعليل الموجدية بوجود الأثر يقتضي نفي الموجدية ، وما أفضى ثبوته إلى نفيه كان باطلا .

فثبت أن تعليل الموجدية بوجود الأثر كلام باطل .

فوجب أن يكون كون الموجد موجدا أمرا مغايرا لكون الفاعل قادرا لوجود الأثر .

فثبت أن التكوين غير المكون .

إذا عرفت هذا الأصل فنقول : القائلون بأن التكوين نفس المكون قالوا : معنى كونه تعالى خالقا رازقا محييا مميتا ضارا نافعا ، عبارة عن نسبة مخصوصة وإضافة مخصوصة ، وهي تأثير قدرة الله تعالى في حصول هذه الأشياء .

وأما القائلون بأن التكوين غير المكون ، فقالوا معنى كونه خالقا رازقا ليس عبارة عن الصفة الإضافية فقط ، بل هي عبارة عن صفة حقيقية موصوفة بصفة إضافية .

أسماء الله غير متناهية ؟ !

إعلم أن الصفات الإضافية على أقسام .

(أحدها) كونه معلوما مذكورا مسبحا ممجداً .

فيقال : يا أيها المسبح بكل لسان ، يا أيها الممدوح عند كل إنسان ، يا أيها المرجوع إليه في كل حين وأوان .

ولما كان هذا النوع من الإضافات غير متناه ، كانت الأسماء الممكنة لله بحسب هذا النوع من الصفات غير متناهية .

(وثانيها) كونه تعالى فاعلا للأفعال صفة إضافية محضة بناء على أن تكوين الأشياء ليس بصفة زائدة .

إذا عرفت هذا فالمخبر عنه ، إما أن يكون مجرد كونه موجدا .

أو المخبر عنه كونه موجدا للنوع الفلاني لأجل الحكمة الفلانية .

أما القسم الأول ـ وهو اللفظ الدال على مجرد كونه موجدا ـ فههنا ألفاظ تقرب من أن تكون مترادفة ، مثل : الموجد ، والمحدث ، والمكون ، والمنشىء ، والمبدع ، والمخترع ، والصانع ، والخالق ، والفاطر ،

والبارىء . . . فهذه ألفاظ عشرة متقاربة ، ومع ذلك فالفرق حاصل :

اما الإسم الأول . . . وهو **الموجد** . . . فمعناه المؤثر في الوجود .

وأما **المحدث** . . . فمعناه الذي جعله موجودا بعد أن كان معدوما ، وهذا أخص من مطلق الإيجاد .

وأما **المكون** . . . فيقرب من أن يكون مرادفا للموجد .

وأما **المنشىء** . . . فاشتقاقه من النشوء والنماء ، وهو الذي يكون قليلا قليلا على التدريج .

وأما **المبدع** . . . فهو الذي يكون دفعة واحدة .

وهما كنوعين تحت جنس الموجد .

والمخترع . . . قريب من المبدع .

وأما **الصانع** . . . فيقرب أن يكون إسما لمن يأتي بالفعل على سبيل التكلف .

وأما **الخالق** . . . فهو عبارة عن التقدير ، وهو في حق الله تعالى يرجع إلى العلم .

وأما **الفاطر** . . . فاشتقاقه من الفطر وهو الشق ، ويشبه أن يكون معناه هو الأحداث دفعة .

وأما **البارىء** . . . فهو الذي يحدثه على الوجه الموافق للمصلحة . . . يقال : برى القلم إذا أصلحه وجعله موافقا لغرض معين .

فهذا بيان هذه الألفاظ الدالة على كونه موجدا على سبيل العموم .

أما الألفاظ الدالة على إيجاد شيء بعينه فتكاد أن تكون غير متناهية

ويجب أن نذكر في هذا الباب أمثلة .

فالمثال الأول : أنه إذا خلق النافع سمي نافعا .

وإذا خلق المؤلم سمي ضاراً .

والمثال الثاني : إذا خلق الحياة سمي محييا .

وإذا خلق الموت سمي مميتا .

والمثال الثالث : إذا خصهم بالإكرام سمي بَرًّا لطيفا .

وإذا خصهم بالقهر سمى قهارا جبارا .

والمثال الرابع : إذا قلل العطاء سمي قابضا .

وإذا أكثره سمي باسطا .

والمثال الخامس : إن جازى ذوي الذنوب بالعقاب سمي منتقما .

وإن ترك ذلك الجزاء سمي عفوا غفورا رحيما رحمانا .

المثال السادس : إن حصل المنع والإعطاء في الأموال سمي قابضا باسطا .

وإن حصلا في الجاه والحشمة سمي خافضا رافعا .

إذا عرفت هذا فنقول :

إن أقسام مقدورات الله تعالى بحسب الأنواع والأجناس غير متناهية .

فلا جرم يمكن أن يحصل لله تعالى أسماء غير متناهية بحسب هذا الإعتبار .

وإذا عرفت هذا فنقول : ههنا دقائق لا بد منها :

(فالدقيقة الأولى) أن مقابل الشيء تارة يكون ضده وتارة يكون عدمه .

المعِزُّ المذِلُّ ؟ !

فقولنا « **المعز المذل** » وقولنا « **المحيي المميت** » يتقابلان تقابل الضدين .

وأما قولنا « **القابض الباسط الخافض الرافع** » فيقرب من أن يكون تقابلهما تقابل العدم والوجود .

لأن القبض عبارة عن أن لا يعطيه المال الكثير ، والخفض عبارة أن لا يعطيه الجاه الكبير ، أما الإعزاز والإذلال فهما متضادان ، لأنه فرق بين أن لا يعزه وبين أن يذله .

فروق لطيفة ؟ !

(والدقيقة الثانية) . . .

أنه قد تكون الألفاظ تقرب من أن تكون مترادفة .

ولكن التأمل التام يدل على الفرق اللطيف ، وله أمثلة :

المثال الأول : الرؤوف الرحيم ، يقرب من هذا الباب ، إلا أن الرؤ وف أميل إلى جانب إيصال النفع ، والرحيم أميل إلى جانب دفع الضرر .

والمثال الثاني : **الفاتح والفتَّاح ، والنافع والنفَّاع ، والواهب والوهّاب** .

فالفاتح يشعر بأحداث سبب الخير .

والواهب يشعر بإيصال ذلك الخير إليه .

والنافع يشعر بإيصال ذلك النفع إليه بقصد أن ينتفع ذلك الشخص به .

وإذا وقفت على هذا القانون المعتبر في هذا الباب أمكنك الوقوف على حقائق هذا النوع من الأسماء .

الأسماء الواقعة

بحسب الصفات السلبية ؟ !

أعلم أن القرآن مملوء منه ، وطريق الضبط فيه أن يقال :

ذلك السلب إما أن يكون عائدا إلى الذات ، أو إلى الصفات ، أو إلى الأفعال .

أما السلوب العائدة إلى الذات فهي قولنا إنه تعالى ليس كذا ولا كذا ، كقولنا : إنه ليس جوهرا ولا جسما ولا في المكان ولا في الحيِّز ولا حالا ولا محلا .

واعلم أنا قد دللنا على أن ذاته مخالفة لسائر الذوات والصفات لعين ذاته المخصوصة .

لكن أنواع الذوات والصفات المغايرة لذاته غير متناهية ، فلا جرم يحصل ههنا سلوب غير متناهية .

ومن جملتها قولـه تعالى ﴿ **واللَّهُ الغنِيُّ وأنتُمُ الفقراءُ** ﴾ .

وقوله ﴿ **وربُّكَ الغنِيُّ ذو الرَحْمَةِ** ﴾ لأنه كونه غنيا أنه لا يحتاج في ذاته ولا في صفاته الحقيقية ولا في صفاته السلبية إلى شيء غيره .

ومنه أيضاً قوله ﴿ **لم يلد ولم يولد** ﴾ .

يجب تنزيه الله عن صفات النقائض ؟ !

وأما السلوب العائدة إلى الصفات ، فكل صفة تكون من صفات النقائض فإنه يجب تنزيه الله تعالى عنها .

فمنها ما يكون من باب أضداد العلم ، ومنها ما يكون من باب أضداد القدرة ، ومنها ما يكـون من بـاب أضداد الإستغنـاء ، ومنها مـا يكون من بـاب أضداد الوحدة ، ومنها ما يكون من باب أضداد العلم فأقسام ، أحدها :

نفي النوم . . . قال تعالى ﴿ **لا تأخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ** ﴾ .

وثانيها . . . نفي النسيان ، قال تعالى ﴿ **وما كان ربُّك نَسِيًّا** ﴾ .

وثالثها . . . نفي الجهل ، قال تعالى ﴿ **لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ في السَّماواتِ ولا في الأرْضِ** ﴾[1] .

---

(١) في قـوله سبحـانه « مثقـال ذرة في السمـاوات ولا في الأرض » . . . إشارة عجيبة . . . إلى حقيقة عجيبة . . اكتشفهـا الإنسان بعد إكتشافه لعلوم الذرَّة الحديثة . . . وهي أن الذرة لها وزن . . . لها مثقال . . . من الثقل . . . لها ثقل !!!

كما أن قوله « في السماوات ولا في الأرض » إشارة اعجب واعجب إلى أن كل شيء فيهما مكون من ذرات متراكبة !!!

إشارة إلى أن كل شيء . . . كبيرا أو صغيرا . . . في السماوات وفي الأرض أصله ذرة واحدة ـ ثم تراكبت الذرات بنسب معينه . . . فحدثت منها هذه الكائنات جميعا !!!

ورابعها . . . أن علمه ببعض المعلومات لا يمنعه عن العلم بغيره ، فإنه تعالى لا يشغله شأن عن شأن .

منزه عن التعب ؟ !

وأما السلوب العائدة إلى صفة القدرة فأقسام :

أحدها . . . أنه منزه في أفعاله عن التعب والنصب ، قال تعالى ﴿ **وما مَسَّنا مِنْ لُغُوب** ﴾ .

وثانيها . . . أنه لا يحتاج في فعله إلى الآلات والأدوات وتقدم المادة والمدة ، قال تعالى ﴿ **إنما قولُنا لشَيْءٍ إذا أرَدْناهُ أن نقولَ لَهُ كُن فيكون** ﴾ .

وثالثها . . . أنه لا تفاوت في قدرته بين فعل الكثير والقليل ، قال تعالى ﴿ **وما أمرُ الساعة إلا كَلَمْحِ البَصَرِ أو هُوَ أقْرَبُ** ﴾ .

ورابعها . . . نفي إنتهاء القدرة وحصول الفقر ، قال تعالى ﴿ **لقد سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذينَ قالوُا إنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أغنياءُ** ﴾ .

يُطعِمُ ولا يُطْعَم ؟ !

وأما السلوب العائدة إلى صفة الإستغناء فكقوله

﴿ وهو يُطعِمُ ولا يُطْعَمُ ﴾ ، ﴿ وهو يُجِيرُ ولا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ .

وأما السلوب العائدة إلى صفة الوحدة ـ وهو مثل نفي الشركاء والأضداد والأنداد ـ فالقرآن مملوء منه .

لا يخلق العبث ؟ !

وأما السلوب العائدة إلى الأفعال ـ وهو أنه لا يفعل كذا وكذا ـ فالقرآن مملوء منه .

أحدها . . . أنه لا يخلق الباطل ، قال تعالى ﴿ وما خَلَقْنا السماءَ والأرْضَ وما بينهما باطِلا ، ذلك ظَنُّ الذين كفروا ﴾ .

وقال تعالى حكاية عن المؤمنين ﴿ ويتفكرون في خَلْقِ السماواتِ والأرضِ ، ربنا ما خَلَقْتَ هذا باطلاً ﴾ .

وثانيها . . . أنه لا يخلق اللعب ، قال تعالى ﴿ وما خَلَقْنا السماواتِ والأرضَ وَمَا بينهما لاعبين ﴾ ؟ و ﴿ ما خلقناهما إلا بالحق ﴾ .

وثالثها . . . لا يخلق العبث ، قال تعالى

﴿ أفحسِبْتُم أنما خَلَقْناكم عَبَثاً وأنَّكم إلينا لا تُرجعون . فتَعَالى اللَّهُ المَلِكُ الحَقُّ ﴾ .

ورابعها . . . أنه لا يرضى بالكفر ، قال تعالى ﴿ ولا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ .

وخامسها . . . أنه لا يريد الظلم ، قال تعالى ﴿ وما اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ ﴾ .

وسادسها . . . أنه لا يحب الفساد ، قال تعالى ﴿ والله لا يُحبُّ الفساد ﴾ .

لا يُعاقب من غير سابقة جُرم ؟ !

وسابعها . . . أنه لا يعاقب من غير سابقة جرم ، قال تعالى ﴿ ما يَفْعَل اللَّهُ بعذابِكُم إِن شَكَرْتُمْ ﴾ .

وثامنها . . . أنه لا ينتفع بطاعات المطيعين ، ولا يتضرر بمعاصي المذنبين ، قال تعالى ﴿ إن أحسنتُم أحسَنتُم لأنْفُسِكُمْ وإنْ أسَأْتُمْ فَلَها ﴾ .

وتاسعها . . . أنه ليس لأحد عليه إعتراض في أفعاله وأحكامه ، قال تعالى ﴿ لا يُسألُ عما يَفْعَلُ وهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ وقال تعالى ﴿ فعَّالٌ لِمّا يُرِيدُ ﴾ .

وعاشرها . . . أنه لا يخلف وعده ووعيده ، قال تعالى ﴿ ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وما أنا بظَلَّامٍ للعبيد ﴾ .

إذا عرفت هذا الأصل فنقول :

أقسام السلوب بحسب الذات وبحسب الصفات وبحسب الأفعال غير متناهية .

فيحصل من هذا الجنس أيضاً أقسام غير متناهية من الأسماء .

إذا عرفت هذا الأصل ، فلنذكر بعض الأسماء المناسبة لهذا الباب :

القُدُّوس . . . السَّلام ؟ !

فمنها **القدوس** ، **والسلام** ، ويشبه أن يكون القدوس عبارة عن كون حقيقة ذاته مخالفة للماهيات التي هي نقائض في أنفسها .

والسلام عبارة عن كون تلك الذات غير موصوفة بشيء من صفات النقص .

فالقدوس سلب عائد إلى الذات ، والسلام سلبٌ عائد إلى الصفات .

وثانيها . . . **العزيز** ، وهو الذي لا يوجد له نظير .

وثالثها . . . **الغفار** ، وهو الذي يسقط العقاب عن المذنبين .

ورابعها . . . **الحليم** ، وهو الذي لا يعاجل بالعقوبة ، ومع ذلك فإنه لا يمتنع من إيصال الرحمة .

الواحد ؟ !

وخامسها . . . **الواحد** ، ومعناه أنه لا يشاركه أحد في حقيقته المخصوصة ولا يشاركه أحد في صفة الإلهية ، ولا يشاركه أحد في خلق الأرواح والأجسام ، ولا يشاركه أحد فى نظم العالم وتدبير أحوال العرش .

الغنيّ ؟ !

وسادسها . . . **الغني** ، ومعناه كونه منزهاً عن الحاجات والضرُورات .

وسابعها . . . **الصبور** ، والفرق بينه وبين الحليم ، أنه الصبور هو الذي لا يعاقب المسيء مع القدرة عليه ، والحليم هو الذي يكون كذلك مع أنه لا يمنعه من إيصال نعمته إليه .

وقس عليه البواقي ، والله الهادي .

الأسماء الحاصلة بسبب القدرة ؟ !

الأسماء الدالة على صفة القدرة كثيرة :

الأول : القادر . . . قال تعالى ﴿ قُل هو القادِرُ على أن يَبْعَثَ عليكم عذاباً مِنْ فوقِكُم أو مِنْ تحْتِ أرْجُلِكُمْ ﴾ .

وقال في أول سورة القيامة ﴿ أيَحْسَبُ الإنسانُ ألَّن نَجْمَعَ عظامَهُ ، بَلَى قَادِرِينَ على أن نُسوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ .

وقال في آخر السورة ﴿ أليس ذلك بقادِرٍ على أن يُحْيِيَ المَوْتَى ﴾ .

القادر . . .
القدير . . . المقْتَدِر ؟ !

الثاني . . . القدير . . . قال تعالى ﴿ تَبَارَكَ الذي بِيَدِهِ الملكُ وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قديرٌ ﴾ .

. وهذا اللفظ يفيد المبالغة في وصفه بكونه قادرا .

الثالث . . . المُقْتَدِر . . . قال تعالى ﴿ وكان اللَّهُ على كل شيْءٍ مُقْتَدِراً ﴾ .

وقال ﴿ في مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ .

الرابع . . . عبر عن ذاته بصيغة الجمع في هذه الصفة قال تعالى ﴿ فَقَدرْنا فنعْمَ القادِرُونَ ﴾ .

المَلِك . . . المَلِيك . . .
المالِك . . . مالِك المُلك ؟ !

واعلم أن لفظ « الملك » يفيد القدرة أيضاً بشرط خاص .

ثم إن هذا اللفظ جاء في القرآن على وجوه مختلفة :

فالأول . . . المالك . . . قال الله تعالى : ﴿ مالِكِ يوْمِ الدِّينِ ﴾ .

الثاني . . . المِلك . . . قال تعالى ﴿ فتعالى الله المَلِكُ الحقُّ ﴾ .

وقال ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو المَلِكُ القدُّوسُ ﴾ .

وقال ﴿ مَلِكِ الناسِ ﴾ .

واعلم أن ورود لفظ المِلك في القرآن أكثر من ورود لفظ المالك .

والسبب فيه أن الملك أعلى شأنا من المالك .

الثالث . . . **مالك الملك** . . .

قال تعالى ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ** ﴾ .

الرابع . . . « **المليك** » . . . قال تعالى ﴿ **عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ** ﴾ .

الخامس . . . لفظ المُلْك . . . قال تعالى ﴿ **المُلْك يَوْمَئِذٍ الحَقُّ للرَّحمنِ** ﴾ .

وقال تعالى ﴿ **لهُ مُلْك السماواتِ والأرضِ** ﴾ .

القَوِيُّ . . . ذُو القُوَّةِ ؟ !

واعلم أن لفظ القوة يقرب من لفظ القدرة .

وقد جاء هذا اللفظ في القرآن على وجوه مختلفة :

الأول . . . **القوى** . . . قال تعالى ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عزيزٌ** ﴾ .

الثاني . . . ذو القوة . . . قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرزاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ ﴾ .

الأسماء الحاصلة بسبب العلم ؟ !

وفيه ألفاظ :

الأول . . . العلم وما يشتق منه .

وفيه وجوه . . . الأول . . . إثبات العلم لله تعالى ، قال تعالى ﴿ ولا يُحِيطونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ ﴾ .

وقال تعالى ﴿ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾ .

وقال تعالى ﴿ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾ .

وقال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ .

العالم . . . العليم . . . العَلَّام . . . الأعلم ؟ !

الإسم الثاني . . . العالم . . . قال تعالى ﴿ عالِمُ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ ﴾ .

الثالث . . . العليم . . . وهو كثير في القرآن .

الرابع . . . العلاَّم . . . قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام ﴿ إنَّك أنتَ علاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ .

الخامس . . . الأعلم . . . قال تعالى ﴿ الله أعْلَمُ حيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ .

السادس . . . صيغة الماضي . . . قال تعالى ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أنَّكُم كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أنْفُسَكُم ﴾ .

السابع . . . صيغة المستقبل . . . قال تعالى ﴿ وما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ .

وقال ﴿ واللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وما تُعْلِنونَ ﴾ .

الثامن . . . لفظ عَلَّم . . . من باب التفعيل ، قال تعالى ﴿ وعلَّم آدمَ الأسماءَ كُلها ﴾ .

وقال في حق الملائكة ﴿ سبحانك لا عِلْمَ لنا إلاَّ ما عَلَّمْتنا ﴾ .

وقال ﴿ وعلَّمَك ما لم تَكُنْ تَعْلَم ﴾ .

وقال ﴿ الرحمنُ عَلَّم القرآنَ ﴾ .

واعلم أنه لا يجوز أن يقال أن الله مُعَلِّم مع كثرة

هذه الألفاظ ، لأن لفظ المعلِّم مشعر بنوع نقيصة .

التاسع . . . لا يجوز إطلاق لفظ العلاَّمة على الله تعالى ، لأنها وإن أفادت المبالغة لكنها تفيد أن هذه المبالغة إنما حصلت بالكد والعناء ، وذلك في حق الله تعالى محال .

الخبير؟!

(اللفظ الثاني) . . . من ألفاظ هذا الباب لفظ الخبر والخبرة ، وهو كالمرادف للعلم .

حتى قال بعضهم في حد العلم : إنه الخَبَر .

إذا عرفت هذا فنقول : ورد لفظ « **الخبير** » في حق الله تعالى كثيراً في القرآن .

وذلك أيضاً يدل على العلم .

الشهيد ؟!

النوع الثالث من الألفاظ . . . الشهود والمشاهدة .

ومنه « **الشهيد** » في حق الله تعالى . . .

إذا فسرناه بكونه مشاهدا لها عالما بها .

أما إذا فسرناه بالشهادة كان من صفة الكلام .

الحكيم ؟!

النوع الرابع . . . الحكمة . . . وهذه اللفظة قد يراد بها العلم . . . وقد يراد بها أيضاً ترك ما لا ينبغي وفعل ما ينبغي .

اللطيف ؟!

النوع الخامس . . . اللطيف . . . وقد يراد به العلم بالدقائق . . . وقد يراد به إيصال المنافع إلى العباد بطريق خفية عجيبة .

الأسماء الحاصلة بسبب صفة الكلام ؟!

(اللفظ الأول) الكلام . . . وفيه وجوه :

الأول . . . لفظ الكلام ، قال تعالى ﴿ **وإِنْ أَحَدٌ مِّنَ المشركينَ اسْتَجارَكَ فَأَجِرْهُ حتى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ** ﴾ .

الثاني . . . صيغة الماضي من هذا اللفظ ، قال تعالى ﴿ **وكلّمَ اللهُ موسى تكلِيماً** ﴾ .

وقال ﴿ ولَمَّا جاء موسى لميقاتِنا وكَلَّمَه رَبُّه ﴾ .

الثالث . . . صيغة المستقبل ، قال تعالى ﴿ وما كان لبَشَرٍ أن يُكَلِّمَهُ اللهُ إلا وَحْياً ﴾ .

(اللفظ الثاني) القول ، وفيه وجوه :

الأول . . . صيغة الماضي ، قال تعالى ﴿ وإذْ قالَ رَبُّكَ للملائِكةِ ﴾ .

ونظائره كثيرة في القرآن .

والثاني . . . صيغة المستقبل ، قال تعالى ﴿ إنَّه يقولُ إنَّها بقرةٌ ﴾ .

الثالث . . . القيل والقول ، قال تعالى ﴿ ومَنْ أصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً ﴾ .

وقال تعالى ﴿ ما يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ ﴾ .

الأمر ؟!

(اللفظ الثالث) . . . الأمر . . .

قال تعالى ﴿ لِلَّهِ الأمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ﴾ .

وقال ﴿ أَلاَ لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ ﴾ .

وقال حكاية عن موسى عليه السلام ﴿ إِنَّ اللهَ يأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ .

الوعد ؟!

(اللفظ الرابع) . . . الوعد

قال تعالى ﴿ وَعْداً عليهِ حَقاً في التَّوْراةِ والإِنجيل والقرآن ﴾ .

وقال تعالى ﴿ وَعْدَ اللهِ حَقّاً ، إِنَّه يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُه ﴾ .

الوحي ؟!

(اللفظ الخامس) . . . الوحي . . .

قال تعالى ﴿ وما كانَ لِبَشَرٍ أن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً ﴾ .

وقال ﴿ فأوحَى إلى عَبْدِهِ ما أَوْحَى ﴾ .

شاكر ؟!

(اللفظ السادس) . . . كونه تعالى شاكراً لعباده . . .

قال تعالى ﴿ فَأولَئكَ كان سَعْيُهُم مشكوراً ﴾ .

﴿ وكانَ اللهُ شَاكِراً عَليماً ﴾ .

الإرادة ؟!

في الإرادة وما يقرب منها : ـ

(فاللفظ الأول) . . . الإرادة . . .

قال تعالى ﴿ يُريدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ولا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ ﴾ .

الرضا ؟!

(اللفظ الثاني) . . . الرضا . . . قال تعالى ﴿ وإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُم ﴾ .

وقال ﴿ وَلاَ يَرْضَى لِعبادِهِ الكُفْرَ ﴾ .

وقال ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ .

وقال في صفة السابقين الأولين ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ .

وقال حكاية عن موسى ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ .

المحبة ؟!

(اللفظ الثالث) . . . المحبة . . . قال ﴿ يُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَهُ ﴾ .

وقال ﴿ وَيُحِبُّ المتطَهِّرينَ ﴾ .

الكراهة ؟!

(اللفظ الرابع) . . . الكراهة . . . قال تعالى ﴿ كل ذلك كان سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّك مَكْرُوها ﴾ .

وقال ﴿ وَلكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعاثَهُمْ فَثَبَّطَهُم ﴾ .

قالت الأشعرية : الكراهة عبارة عن أن يريد أن لا يفعل .

وقالت المعتزلة : بل هي صفة أخرى سوى الإرادة .

والله أعلم .

السمع والبصر ؟!

قال تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهو السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ .

وقال تعالى ﴿ لِنُرِيَهُ مِن آياتِنا إِنَّهُ هو السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ .

وقال تعالى ﴿ إِنَّنِي مَعَكُما أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ .

وقال ﴿ لِمَ تَعْبُدُ ما لا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ﴾ ؟!

وقال تعالى ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ .

فهذا جملة الكلام في الصفات الحقيقية مع الإضافية .

في الصفات الإضافية مع السلبية ؟!

إعلم أن « **الأول** » هو الذي يكون سابقاً على غيره ، ولا يسبقه غيره .

فكونه سابقاً على غيره إضافة ، وقولنا أنه لا يسبقه غيره فهو سلب .

فلفظ « الأول » يفيد حالة مرتكبة من إضافة وسلب .

« **والآخر** » هو الذي يبقى بعد غيره ، ولا يبقى بعده غيره ، والحال فيه كما تقدم .

أما لفظ « **الظاهر** » فهو إضافة محضة ، لأن معناه كونه ظاهراً بحسب الدلائل .

وأما لفظ « **الباطن** » فهو سلب محض ؛ لأن معناه كونه خفياً بحسب الماهية .

ومن الأسماء الدالة على مجموع إضافة وسلب « **القيوم** » لأن هذا اللفظ يدل على المبالغة في هذا المعنى ، وهذه المبالغة تحصل عند اجتماع أمرين :

أحدهما . . . أن لا يكون محتاجاً إلى شيء سواه البتة ، وذلك لا يحصل إلا إذا كان واجب الوجود وفي ذاته ، وفي جملة صفاته .

والثاني . . . أن يكون كل ما سواه محتاجاً إليه في ذواتها وفي جملة صفاتها ، وذلك بأن يكون مبدأ لكل ما سواه .

فالأول سلب ، والثاني إضافة ومجموعهما هو القيوم .

الإلـه ؟!

في الأسماء الدالة على الذات والصفات الحقيقية والإضافية والسلبية .

فمنها قولنا « الإله » .

وهذا الإسم يفيد الكل ، لأنه يدل على كونه موجوداً ، وعلى كيفيات ذلك الوجود .

أعني كونه أزلياً أبدياً واجب الوجود لذاته . . .

وعلى الصفات السلبية الدالة على التنزيه . . .

وعلى الصفات الإضافيـة الدالـة على الإيجاد والتكوين .

واختلفوا في أن هذا اللفظ هل يطلق على غير الله تعالى ؟

أما كفار قريش فكانوا يطلقونه في حق الأصنام .

وهل يجوز ذلك في دين الإسلام ؟

المشهور أنه لا يجوز .

وقال بعضهم : انه يجـوز لأنه ورد في بعض الأذكار : يا إله الآلهة . . . وهو بعيد .

اللـه ؟!

وأما قولنا « الله » فسيأتي بيان أنه اسم علَم لله تعالى .

فهل يدل هذا على هذه الصفات ؟

فنقول : لا شك أن أسماء الأعلام قائمة مقام الإشارات ، والمعنى أنه تعالى لو كان بحيث يصح أن يشار إليه لكان هذا الإسم قائماً مقام تلك الإشارة .

ثم اختلفوا في أن الإشارة إلى الذات المخصوصة هل تتناول الصفات القائمة بتلك الذات ؟

فإن قلنا إنها تتناول الصفات كان قولنا « الله » دليلاً على جملة الصفات .

فإن قالوا : الإشارة لا تتناول الصفات السلبية فوجب أن لا يدل عليها لفظ « الله » .

قلنا : الإشارة في حق الله إشارة عقلية منزهة عن العلائق الحسية ، والإشارة العقلية قد تتناول السلوب .

الأسماء التي اختلفوا فيها . . .
هل هي من أسماء الذات . . .
أو من أسماء الصفات ؟!

هذا البحث إنما ظهر من المنازعة القائمة بين أهل التشبيه وأهل التنزيه .

وذلك لأن أهل التشبيه يقولون : الموجود إما أن يكون متحيزاً ، وإما أن يكون حالاً في المتحيز ، أما الذي لا يكون متحيزاً ولا حالاً في المتحيز ـ فكان خارجاً عن القسمين ـ فذاك محض العدم .

وأما أهل التوحيد والتقديس فيقولون : أما المتحيز فهو منقسم ، وكل منقسم فهو محتاج ، فكل متحيز هو محتاج .

فما لا يكون محتاجاً امتنع أن يكون متحيزاً .

وأما الحال في المتحيز فهو أولى بالاحتياج .

فواجب الوجود لذاته يمتنع أن يكون متحيزاً أو حالاً في المتحيز .

العظيم ؟!

إذا عرفت هذا الأصل فنقول : ههنا ألفاظ ظواهرها مشعرة بالجسمية والحصول في الحيز والمكان :

فمنها « **العظيم** » .

وذلك لأن أهل التشبيه قالوا : معناه أن ذاته أعظم في الحجمية والمقدار من العرش ، ومن كل ما تحت العرش . . . ومنها . . .

الكبير . . . الأكبر . . . المتكبر . . . وله الكبرياء ؟!

وما يشتق منه . . .

وهو لفظ « الأكبر »

ولفظ « الكبرياء »

ولفظ « المتكبر » .

واعلم أني ما رأيت أحداً من المحققين بين الفرق بينهما .

إلا أن الفرق حاصل في التحقيق من وجوه :

الأول . . . أنه جاء في الأخبار الإلهية أنه تعالى يقول : ﴿ الكبرياء ردائي والعظمة إزاري ﴾ .

فجعل الكبرياء قائماً مقام الرداء ، والعظمة قائمة مقام الإزار .

ومعلوم أن الرداء أرفع درجة من الإزار ، فوجب أن يكون صفة الكبرياء أرفع حالاً من صفة العظمة .

والثاني . . . أن الشريعة فرقت بين الحالين ، فإن المعتاد في دين الإسلام أن يقال في تحريمة الصلاة « الله أكبر » ولم يقل أحد « الله أعظم » ولولا التفاوت لما حصلت هذه التفرقة .

الثالث . . . أن الألفاظ المشتقة من الكبير مذكورة في حق الله تعالى كالأكبر والمتكبر ، بخلاف العظيم فإن لفظ المتعظم غير مذكور في حق الله .

واعلم أن الله تعالى أقام كل واحدة من هاتين اللفظتين مقام الأخرى .

فقال ﴿ ولا يَؤُدُهُ حِفظُهُما وهُوَ العَلِيُّ العظِيمُ ﴾ .

وقال في آية أخرى ﴿ حتَّى إذا فُزِّعَ عن قُلُوبِهِم قالوا : ماذا قال رَبُّكُم ؟ قالوا : الحق وهو العَلِيُّ الكبيرُ ﴾ .

إذا عرفت هذا فالمباحث السابقة مشعرة بالفرق بين العظيم وبين الكبير .

وهاتان الآيتان مشعرتان بأنه لا فرق بينهما .

فهذه العقدة يجب البحث عنها .

فنقول ، ومن الله الإرشاد والتعليم : يشبه أن يكون الكبير في ذاته كبيراً سواء استكبره غيره أم لا ، وسواء عرف هذه الصفة أحد أو لا . . .

وأما العظمة فهي عبارة عن كونه بحيث يستعظمه غيره .

وإذا كان كذلك كانت الصفة الأولى ذاتية والثانية عرضية .

والذاتي أعلى وأشرف من العرضي ، فهذا هو الممكن في هذا المقام ، والعلم عند الله .

تعالى . . .

العَلِيُّ . . . الأعلَى . . . المتعالي ؟!

ومن الأسماء المشعرة بالجسمية والجهة الألفاظ المشتقة من « العلو » .

فمنها قوله تعالى ﴿ العَلِيُّ ﴾ .

ومنها قوله ﴿ سَبِّح اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ .

ومنها ﴿ المتعالي ﴾ .

ومنها اللفظ المذكور عند الكل على سبيل الإطباق ، وهو أنهم كلما ذكروه أردفوا ذلك الذكر بقولهم « **تعالى** » . . . لقوله تعالى في أول سورة النحل ﴿ **سبحانَه وتعالَى عما يُشركون** ﴾ .

إذا عرفت هذا فالقائلون بأنه في الجهة والمكان قالوا : معنى علوه وتعاليه كونه موجوداً في جهة فوق .

ثم هؤلاء منهم من قال : إنه جالس فوق العرش .

ومنهم من قال : إنه مباين للعرش ببعد متناه .

ومنهم من قال : إنه مباين للعرش ببعد غير متناه .

وكيف كان فإن المشبهة حملوا لفظ العظيم والكبير على الجسمية والمقدار ، وحملوا لفظ العليّ على العلو في المكان والجهة !!

وأما أهل التنزيه والتقديس فإنهم حملوا العظيم والكبير على وجوه لا تفيد الجسمية والمقدار :

فأحدهـا . . . أنه عظيم بحسب مدة الوجود ، وذلك لأنه أزلي أبدي .

وذلك هو نهاية العظمة والكبرياء في الوجود والبقاء والدوام .

وثانيهـا . . . أنه عظيم في العلم والعمل .

وثالثهـا . . . أنه عظيم في الرحمة والحكمة .

ورابعهـا . . . أنه عظيم في كمال القدرة .

وأما العلو فأهل التنزيه يحملون هذا اللفظ على كونه منزهاً عن صفات النقائص والحاجات .

إذا عرفت هذا فلفظ العظيم والكبير عند المشبهة من أسماء الذات ، وعند أهل التـوحيد من أسمـاء الصفات .

وأما لفظ « العَليّ » فعند الكل من أسماء الصفات .

إلا أنه عند المشبهة يفيد الحصول في الحيز الذي هو العلو الأعلى .

وعند أهل التوحيد يفيد كونه منزهاً عن كل ما لا يليق بالإلهية .

فهذا تمام البحث في هذا الباب .

أنا . . . وأنت . . . وهو ؟ ،

في الأسماء الحاصلة لله تعالى من باب الأسماء المضمرة .

إعلم أن الأسماء المضمرة ثلاثة ؛ **أنا** ، **وأنت** ، **وهو** .

وأعرف الأقسام الثلاثة قولنا « **أنا** » .

لأن هذا اللفظ يشير به كل أحد إلى نفسه .

وأعرف المعارف عند كل أحد نفسه .

وأوسط هذه الأقسام قولنا « **أنت** » . . . لأن هذا

خطاب للغير بشرط كونه حاضراً . . . فلأجل كونه خطاباً للغير يكون دون قوله أنا . . . ولأجل أن الشرط فيه كون ذلك المخاطب حاضراً يكون أعلى من قوله « هو » .

فثبت أن أعلى الأقسام هو قوله « أنا » . . .

وأوسطها « أنت » . . .

وأدناها « هو » .

وكلمة التوحيد وردت بكل واحدة من هذه الألفاظ .

أما لفظ « أنا » فقال في أول سورة النحل ﴿ أنْ أنذِروا أنَّه لا إلهَ إلا أنا ﴾ .

وفي سورة طه ﴿ إنَّني أنا اللهُ لا إلهَ إلا أنا ﴾ .

وأما لفظ « أنت » فقد جاء في قوله ﴿ فنادَى في الظُّلُماتِ أن لا إلهَ إلا أنتَ ﴾ .

وأما لفظ « هو » فقد جاء كثيراً في القرآن .

أولها . . . في سورة البقرة . . . في قوله ﴿ وإلهُكُم إلهٌ واحدٌ لا إلهَ إلا هوَ الرحمنُ الرحيمُ ﴾ .

وآخرها . . . في سورة المزَّمِّل . . . وهو قوله ﴿ رَبُّ المشرقِ والمغرِبِ لا إلـهَ إلا هُوَ فـاتَّخِـذْهُ وَكيلاً ﴾ .

وأما ورود هذه الكلمة مقروناً باسم آخر سوى هذه الأربعة فهو الذي حكاه الله تعالى عن فرعون أنه قال ﴿ آمَنتُ أنَّهُ لا إلهَ إلا الذي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسْرَائِيل ﴾ .

ثم بين الله تعالى أن تلك الكلمة ما قبلت منه .

لا إله إلا أنا ؟!

إذا عرفت هذا فلنذكر أحكام هذه الأقسام فنقول :

أما قوله ﴿ لا إلهَ إلا أنا ﴾ فهذا الكلام لا يجوز أن يتكلم به أحد إلا الله ، ومن يذكره على سبيل الحكاية عن الله .

لأن تلك الكلمة تقتضي إثبات الإلهية لذلك القائل ، وذلك لا يليق إلا بالله سبحانه .

واعلم أن معرفة هذه الكلمة مشروطة بمعرفة قوله « أنا » وتلك المعرفة على سبيل التمام والكمال لا تحصل إلا للحق سبحانه وتعالى .

فثبت أن قوله « **لا إله إلا أنا** » لم يحصل العلم به على سبيل الكمال إلا للحق تعالى .

لا إله إلا أنت ؟!

وأما الدرجة الثانية وهي قوله « **لا إله إلا أنت** » فهذا يصح ذكره من العبد ، لكن بشرط أن يكون حاضراً لا غائباً .

لكن هذه الحالة إنما اتفق حصولها ليونس عليه السلام عند غيبته عن جميع حظوظ النفس .

وهذا تنبيه على أن الإنسان ما لم يصر غائباً عن كل الحظوظ لا يصل إلى مقام المشاهدة .

لا إله إلا هو ؟!

وأما الدرجة الثالثة وهي قوله « **لا إله إلا هو** » فهذا يصح من الغائبين .

واعلم أن درجات الحضور مختلفة بالقرب والبعد ، وكمال التجلي ونقصانه .

وكل درجة ناقصة من درجات الحضور فهي غيبة بالنسبة إلى الدرجة الكاملة .

ولما كانت درجات الحضور غير متناهية كانت مراتب الكمالات والنقصانات غير متناهية . . .

فكانت درجات الحضور والغيبة غير متناهية .

فكل من صدق عليه أنه حاضر فباعتبار آخر يصدق عليه أنه غائب ، وبالعكس .

وعن هذا قال الشاعر : ـ

أيـا غـائبـاً حـاضـراً في الفؤاد
سـلام عـلى الغـائـب الحـاضـر

ويحكى أن الشبلي لما قربت وفاته قال بعض الحاضرين : قل لا إله إلا الله . . . فقال : ـ

كل بيت أنت حـاضره غير محتاج إلى السـرج
وجهك المأمـول حجتنا يوم تأتي الناس بالحجج

أسرار . . . هو ؟!!

واعلم أن لفظ « هو » فيه أسرار عجيبة وأحوال عالية .

فبعضها يمكن شرحه وتقريره وبيانه ، وبعضها لا يمكن .

قال مصنف الكتاب :

وأنا بتوفيق الله كتبت أسرارا لطيفة إلا أني كلما أقابل تلك الكلمات المكتوبة بما أجده في القلب من البهجة والسعادة عند ذكر كلمة « هو » أجد المكتوب بالنسبة إلى تلك الأحوال المشاهدة حقيرا .

فعند هذا عرفت أن لهذه الكلمة تأثيراً عجيباً في القلب لا يصل البيان إليه ، ولا ينتهي الشرح إليه ، فلنكتب ما يمكن ذكره فنقول : فيه أسرار . . .

الأول : أن الرجل إذا قال :

« يا . . . هو » ؟!

فكأنه يقول : مَن أنا حتى أعرفك ؟! . . . ومن أنا حتى أكون مخاطباً لك ؟ـ . . . وما للتراب ورب الأرباب ؟! . . . وأي مناسبة بين المتولد عن النطفة والدم وبين الموصوف بالأزلية والقدم ؟!!

فأنت أعلى من جميع المناسبات ، وأنت مقدس عن علائق العقول والخيالات . . .

فلهذا السبب خاطبه العبد : بخطاب الغائبين فقال : يا هو .

والفائدة الثانية . . . أن هذا اللفظ كما دل على إقرار العبد على نفسه بالدناءة والعدم . . . ففيه أيضاً دلالة على أنه أقر بأن كل ما سوى الله تعالى فهو محض العدم .

لأن القائل إذا قال « يا هو » فلو حصل في الوجود شيئان لكان قولنا « هو » صالحا لهما جميعاً ، فلا يتعين واحد منهما بسبب قوله « هو » . . .

فلما قال ﴿ يا هو ﴾ فقد حكم على كل ما سوى الله تعالى بأنه عدم محض ونفي صرف .

كما قال تعالى ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ .

وهذان المقامان في الفناء عن كل ما سوى الله مقامان في غاية الجلال .

ولا يحصلان إلا عند مواظبة العبد على أن يذكر الله بقوله له « يا هو » .

هُوَ . . . هُو . . . ؟!

والفائدة الثالثة . . . أن العبد متى ذكر اسم الله بشيء من صفاته لم يكن مستغرقاً في معرفة الله تعالى .

لأنه إذا قال « يا رحمن » فحينئذ يتذكر رحمته ، فيميل طبعه إلى طلبها ، فيكون طالباً للحصة .

وكذلك إذا قال (يا كريم . . . يا محسن . . . يا غفار . . . يا وهاب . . . يا فتاح) .

وإذا قال (يا مالك) فحينئذ يتذكر ملكه وملكوته ، وما فيه من أقسام النعم ، فيميل طبعه إليه فيطلب شيئاً منها .

وقس عليه سائر الأسماء .

أما إذا قال (يا هو) فإنه يعرف أنه هو .

وهذا الذكر لا يدل على شيء غيره البتة .

فحينئذ يحصل في قلبه نور ذكره ، ولا يتكدر ذلك النور بالظلمة المتولدة عن ذكر غير الله .

وهنـاك يحصل في قلبـه النور التـام والكشف الكامل[1] .

هو . . . الممدوح لذاته ؟!

والفائدة الرابعة . . . أن جميع الصفات المعلومة عند الخلق . . . إما صفات الجلال ، وإمـا صفات الإكرام .

أما صفات الجلال فهي قولنا ليس بجسم ولا بجوهر ولا عرض ولا في المكان ولا في المحل . . .

وهذا فيه دقيقة ؛ لأن من خاطب السلطان فقال أنت لست أعمى ولست أصم ولست كذا ولا كذا . . . ويعد أنواع المعايب والنقصانات ، فإنه يستوجب الزجر والحجر والتأديب . . .

ويقال : إن مخاطبته بنفي هذه الأشياء عنه إساءة في الأدب .

---

(١) ذروة . . . قمة . . . عالية جدا . . . يسجلها الرجل . . . لا تصدر إلا عن قلب ذاق هذا المقام . . . وأنعم الله عليه بعطايا الكشف الكامل . . . والنور المصفى من الظلمات !!! ما هذا أيها المسمى بـ« الفخر الرازي » ؟! لقد أعطاك ربك ما أعطى !!!

وأما صفات الإكرام فهي كونه خالقاً للمخلوقات مرتباً لها على النظم الأكمل .

وهذا أيضاً فيه دقيقة من وجهين :

الأول . . . لا شك أن كمال الخالق أعلى وأجل من كمال المخلوق بمراتب لا نهاية لها .

فإذا شرحنا نُعوت كمال الله وصفات جلاله بكونه خالقاً لهذه المخلوقات ، فقد جعلنا كمال هذه المخلوقات كالشرح والبيان لكمال جلال الخالق .

وذلك يقتضي تعريف الكامل المتعالي بطريق في غاية الخسة والدناءة ، وذلك سوء أدب .

والثاني . . . أن الرجل إذا أخذ يمدح السلطان القاهر بأنه أعطى الفقير الفلاني كسرة خبز أو قطرة ماء ، فإنه يستوجب الزجر والحجر .

ومعلوم أن نسبة جميع عالم المخلوقات من العرش إلى آخر الخلاء الذي لا نهاية له . . . إلى ما في خزائن قدرة الله . . . أقل من نسبة كسرة الخبز وقطرة الماء إلى جميع خزائن الدنيا .

فإذا كان ذلك سوء أدب ، فهذا أولى أن يكون سوء أدب .

فثبت أن مدح الله وثناءه بالطريقين المذكورين فيه هذه الاعتراضات .

إلا أن ههنا سبباً يرخص في ذكر هذه المدائح ، وهو أن النفس صارت مستغرقة في عالم الحس والخيال ، فالإنسان إذا أراد جذبها إلى عتبة عالم القدس احتاج إلى أن ينبهها على كمال لحضرة المقدسة ، ولا سبيل له إلى معرفة كمال الله وجلاله إلا بهذين الطريقين .

أعني ذكر صفات الجلال وصفات الإكرام ، فيواظب على هذين النوعين حتى تعرض النفس عن عالم الحس وتألف الوقوف على عتبة القدس .

فإذا حصلت هذه الحالة فعند ذلك يتنبه لما في ذينك النوعين من الذكر من الاعتراضات المذكورة .

وعند ذلك يترك تلك الأذكار ويقول (يا . . . هو) .

كأن العبد يقول : أجل حضرتك أن أمدحك وأثني عليك بسلب نقائض المخلوقات عنك ، أو بإسناد كمالات المخلوقات إليك . . .

فإن كمالك أعلى ، وجلالك أعظم .

بل لا أمدحك ولا أثني عليك إلا بهويتك من حيث هي .

ولا أخاطبك أيضاً بلفظة (أنت) لأن تلك اللفظة تفيد التيه والكبر ، حيث تقول الروح إني قد بلغت مبلغاً صرت كالحاضر في حضرة واجب الوجود .

ولكني لا أزيد على قولي (هو) ليكون إقراراً بأنه هو الممدوح لذاته بذاته .

ويكون إقراراً بأن حضرته أعلى وأجل من أن يناسبه حضور المخلوقات .

فهذه الكلمة الواحدة تنبه على هذه الأسرار ، في مقامات التجلي والمكاشفات .

فلا جرم كان هذا الذكر أشرف الأذكار ، لكن بشرط التنبيه لهذه الأسرار .

ألذُّ المقامات ؟!

الفائدة الخامسة في هذا الذكر . . . أن المواظبة على هذا الذكر تفيد الشوق إلى الله .

والشوق إلى الله ألذ المقامات وأكثرها بهجة وسعادة .

إنما قلنا أن المواظبة على هذا الذكر تورث الشوق إلى الله ، وذلك لأن كلمة (هو) ضمير الغائب .

فالعبد إذا ذكر هذه الكلمة علم أنه غائب عن الحق .

ثم يعلم أن هذه الغيبة ليست بسبب المكان والجهة ، وإنما كانت بسبب أنه موصوف بنقصانات الحدوث والإمكان ، ومعيوب بعيب الكون في إحاطة المكان والزمان . . .

فإذا تنبه العقل لهذه الدقيقة ، وعلم أن هذه الصفة حاصلة في جميع الممكنات والمحدثات ، فعند هذا يعلم أن كل المحدثات والابداعيات غائبة عن عتبة علو الحق سبحانه وتعالى . . .

وعرف أن هذه الغيبة إنما حصلت بسبب المفارقة في النقصان والكمال والحاجة والاستغناء . . .

فعند هذا يعتقد أن الحق موصوف بأنواع من الكمال متعالية عن مشابهة هذه الكمالات ، ومقدسة عن مناسبة هذه المحدثات . . .

وأعتقد أن تصوره غائب عن العقل والفكر والذكر . . .

فصارت تلك الكمالات مشعورا بها من وجه دون وجه . . .

والشعور بها من بعض الوجوه يشوق إلى الشعور بدرجاتها ومراتبها . . .

لا نهاية لمراتب الشوق ؟!

وإذا كان لا نهاية لتلك المراتب والدرجات فكذلك لا نهاية لمراتب هذا الشوق .

وكلما كان وصول العبد إلى مرتبة أعلى مما كان أسهل ، كان شوقه إلى الترقي عن تلك الدرجة أقوى وأكمل .

فثبت أن لفظ « هو » يفيد الشوق إلى الله تعالى .

وإنما قلنا إن الشوق إلى الله أعظم المقامات ، وذلك لأن الشوق يفيد حصول آلام ولذات متوالية متعاقبة .

لأن بقدر ما يصل يلتذ ، وبقدر ما يمتنع وصوله إليه يتألم .

والشعور باللذة حال زوال الألم يوجب مزيد الالتذاذ والإبتهاج والسرور .

وذلك يدل على مقام الشوق إلى الله أعظم المقامات .

فثبت أن المواظبة على ذكر كلمة « هو » تورث الشوق إلى الله تعالى .

وثبت أن الشوق إلى الله أعظم المقامات ، وأكثرها بهجة وسعادة .

فيلزم أن يقال : المواظبة على ذكر هذه الكلمة تفيد أعلى المقامات وأسنى الدرجات .

يا . . . هو . . . نهاية في التوحيد ؟!

الفائدة السادسة في شرح جلالة هذا الذكر . .

واعلم أن المقصود لا يتم إلا بذكر مقدمتين . .

المقدمة الأولى . . . أن العلم على قسمين . . . تصور وتصديق .

أما التصور فهو أن تحصل في النفس صورة من غير أن تحكم النفس عليها بحكم البتة ، لا بحكم وجودي ولا بحكم عدمي .

أما التصديق فهو أن يحصل في النفس صورة مخصوصة ، ثم إن النفس تحكم عليها إما بوجود شيء أو علامة .

إذا عرفت هذا فنقول : التصور مقام التوحيد ، وأما التصديق فإنه مقام التكثير .

المقدمة الثانية . . . أن التصور على قسمين . . . تصور يتمكن العقل من التصرف فيه . . . وتصور لا يمكنه التصرف فيه .

أما القسم الأول . . . فهو تصوير الماهيات المركبة ، فإنه لا يمكنه تصور الماهيات المركبة إلا بواسطة استحضار ماهيات أجزاء ذلك المركب . . . وهذا التصرف عمل وفكر ، وتصرف من بعض الوجوه .

وأما القسم الثاني . . . فهو تصور الماهيات البسيطة المنزهة عن جميع جهات التركيبات ، فإن الإنسان لا يمكنه أن يعمل عملاً يتوسل به إلى إستحضار تلك الماهية .

فثبت بما ذكرنا أن التصديق يجري مجرى التكثير بالنسبة إلى التصور .

وأن التصور توحيد بالنسبة إلى التصديق .

وثبت أيضاً أن تصور الماهية البسيطة هو النهاية في التوحيد ، والبعد عن الكثرة .

وإذا عرفنا هذا فنقول : قولنا في الحق سبحانه وتعالى « يا هو» هذا تصور محض خال عن التصديق .

ثم إن هذا التصور تصور لحقيقة منزهة عن جميع جهات التركيب والكثرة .

فكان قولنا « يا هو » نهاية في التوحيد والبعد عن الكثرة . . . وهو أعظم المقامات .

أنوار . . . هو ؟!

الفائدة السابعة . . . أن تعريف الشيء إما أن يكون بنفسه ، أو بالأجزاء الداخلة فيه ، أو بالأمور الخارجة عنه .

أما القسم الأول ـ وهو تعريفه بنفسه ـ فهو محال ؛ لأن المعرف سابق على المعرف ، فتعريف الشيء بنفسه يقتضي تقدم العلم به على العلم به ، وذلك محال .

وأما القسم الثاني ـ وهو تعريفه بالأمور الداخلة فيه ـ فهذا في حق الحق محال ؛ لأن هذا إنما يجري في الماهية المركبة ، وذلك في حق الحق محال ، لأن أحوال الخلق لا يناسبه شيء منها شيئاً من أحوال القديم الواجب لذاته ؛ لأنه تعالى مخالف بذاته المخصوصة وبهويته المعينة لكل ما سواه ، ولما كان كذلك امتنع أن تكون أحوال الخلق كاشفة عن ماهية الله تعالى وحقيقته المخصوصة .

فإذا كان كذلك فقد انسدت أبواب التعريفات

بالنسبة إلى هويته المخصوصة وماهيته المعينة .

فلم يبق طريق إليه إلا من جهة واحدة . . . **وهو أن يوجه الإنسان حدقة عقله وروحه إلى مطلع نور تلك الهوية ، على رجاء أنه ربما أشرق ذلك النور حال ما كانت حدقة عقله متوجهة إليها . . . فيستسعد بمطالعة ذلك النور** . . .

فقول الذاكر « **يا هو** » توجيه لحدقة العقل والروح إلى الحظيرة القدسية على رجاء أنه ربما حصلت له تلك السعادة .

لعلك تظفر بذَرَّة من نورها ؟!

الفائدة الثامنة . . . أن الرجل إذا دخل على الملك المهيب والسلطان القاهر ، ووقف بعقله على كمال تلك المهابة ، وعلى جلال تلك السلطنة ، فقد يصير بحيث تستولي عليه تلك المهابة وتلك السلطنة ، فيصير غافلاً عن كل ما سواه . . .

حتى إنه ربما كان جائعاً فينسى جوعه ، وربما كان به ألم شديد فينسى ذلك الألم في تلك الحالة ، وربما رأى أباه أو ابنه في تلك الحالة ولا يعرفهما .

وكل ذلك لأن استيلاء تلك المهابة عليه أذهله عن الشعور بغيره .

فكذلك العبد إذا قال « يا هو » وتجلى لعقله وروحه ذرَّة من نور جلال تلك الهوية ، وجب أن تستولي على قلبه الدهشة ، وعلى روحه الحيرة ، وعلى فكره الغفلة . .

فيصير غائباً عن كل ما سوى تلك الهوية . . .

معزولاً عن الالتفات إلى شيء سواها . . .

وحينئذ لا يبقى معه في تلك الحالة إلا أن يقول بعقله « هو » وبلسانه « هو » . . .

فإذا قال العبد « هو » وواظب على هذا الذكر ، فهذا منه تشبه بتلك الحالة ، على رجاء أنه ربما وصل إلى تلك الحالة .

فنسأل الله تعالى الكريم أن يسعدنا بها[1] .

---

(١) أقسم بالله . . . الذي لا إله إلا هو . . .

أن هذا الكتاب . . . لوحة فنية . . . يندر أن يساميها في التراث البشري . . . لوحة أخرى . . .

وإن كنتَ في شك مما أقرر . . . فاقرأ منها الفصول التي خطّها =

كيف تخلص من هموم الدنيا ؟!

الفائدة التاسعة . . . من فوائد هذا الذكر العالي . . .

روي عن النبي ﷺ أنه قال :

« من جعل همومه هماً واحداً ، كفاه الله هموم الدنيا والآخرة » .

فكأن العبد يقول : همومي في الدنيا والآخرة غير متناهية ، والحاجات التي هي غير متناهية لا يقدر عليها إلا الموصوف بقدرة غير متناهية ورحمة غير متناهية . . . فعلى هذا أنا لا أقدر على دفع حاجاتي ولا على تحصيل مهماتي . . . بل ليس القادر على دفع تلك الحاجات ، وعلى تحصيل تلك المهمات إلا الله سبحانه وتعالى . . . فأنا أجعل همي مشغولاً بذكره فقط ، ولساني مشغولاً فقط . . . فإذا فعلت ذلك فهو برحمته يكفيني مهمات الدنيا والآخرة[1] .

= ذلك العبقري الرباني . . . في أنوار وأسرار « يا . . . هو » . . .
ثم حدثني بعدها : هل وجدت ما قلتُ لك حقا ؟!! .

(١) قد يعجب من لم يكن على حظ من العلم بالله عظيم . . .

هُو . . . أشرف المذكورات ؟!

الفائدة العاشرة . . . أن العقل لا يمكنه الاشتغال بشيء حالة الاستغراق في العلم بشيء آخر .

فإذا وجه فكره إلى شيء يبقى معزولاً عن غيره .

فكأن العبد يقول : كلما استحضرت في ذهني العلم بشيء فاتني في ذلك الوقت العلم بغيره .

فإذا كان هذا لازماً فالأولى أن أجعل قلبي وفكري مشغولاً بمعرفة أشرف المعلومات ، وأجعل لساني

= كيف يتأتى هذا . . . أيعقل أن مَن شغل قلبه بذكره تعالى ، كفاه الله كل شيء ؟!

والمسألة غاية في البساطة . . . وبديهية أوضح من الوضوح . . . لمن كشف الله عنه غطاءه !

إذا اتجه القلب في صدق إلى الله . . . وداوم على ذلك . . . خرج القلب من الظلمات إلى النور . . . ومتى حدث ذلك . . . سبح القلب في رحمات النور . . . وانعزل تماماً عن هموم الظلمات . . . وتلك هي حقيقة قوله « كفاه الله هموم الدنيا والآخرة » !!!

أي : هو في جنة في الدنيا . . . وفي جنة في الآخرة . . . ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ !!!

مشغولاً بذكر أشرف المذكورات ؛ فلهذا السبب أواظب على قوله « يا هو » .

الثناء الخالي عن السؤال ؟!

الفائدة الحادية عشرة . . . أن الذكر أشرف المقامات . . .

قال عليه السلام حكاية عن الله تعالى :

﴿ إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي ﴾ .

﴿ وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه ﴾ .

وإذا ثبت هذا فنقول : أفضل الأذكار ذكر الله بالثناء الخالي عن السؤال .

قال عليه السلام حكاية عن الله تعالى :

﴿ من شغله ذكري عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ﴾ .

إذا عرفت هذه المقدمة فنقول : العبد فقير محتاج ، والفقير المحتاج إذا نادى مخدومه بخطاب يناسب الطلب والسؤال كان ذلك محمولاً على

السؤال . . . فإذا قال الفقير للغني « يا كريم » كان معناه أكرِم . . . وإذا قال له « يا نفاع » كان معناه طلب النفع . . . وإذا قال « يا رحمن » كان معناه أرحم . . . فكانت هذه الأذكار جارية مجرى السؤال .

وقد بينا أن الذكر إنما يعظم شرفه إذا كان خالياً عن السؤال والطلب . . . أما إذا قال « **يا هو** » كان معناه خالياً عن الاشعار بالسؤال والطلب ، فوجب أن يكون قولنا « هو » أعظم الأذكار .

توحيد الخواص ؟!

ولنختم هذا الفصل بذكر شريف رأيته في بعض الكتب . . .

« **يا هو . . . يا من لا هو إلا هو . . . يا من لا إله إلا هو . . . يا أزل . . . يا أبد . . . يا دهر . . . يا ديهار . . . يا ديهور . . . يا من هو الحي الذي لا يموت** » .

ومن لطائف هذا الفصل أن الشيخ الغزالي رحمة الله عليه كان يقول : « **لا إله إلا الله** » توحيد العوام ، و« **لا إله إلا هو** » توحيد الخواص .

ولقد استحسنت هذا الكلام ، وقررته بالقـرآن والبرهان .

أما القرآن فإنه تعالى قال ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

ثم قال بعده ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ .

معناه إلا هو . . . فذكر قوله إلا هو بعد قوله لا إله . . . فدل ذلك على أن غاية التوحيـد هي هذه الكلمة .

وأما البرهان . . . فهو أن من الناس من قال : أن تأثير الفاعل ليس في تحقيق الماهية وتكوينها ، بل لا تأثير له إلا في إعطاء صفة الوجود لها .

فقلت : فالوجود أيضاً ماهية ، فوجب أن لا يكون الوجود واقعاً بتأثيره .

فإن التزموا ذلك وقالوا : الواقع بتأثير الفـاعل موصوفية الماهية بالوجود . . .

فنقول ؛ تلك الموصوفية إن لم تكن مفهوماً مغايراً للماهية والوجود امتنع إسنادها إلى الفاعل . . . وإن

كانت مفهوماً مغايراً فذلك المفهوم المغاير لا بد وأن يكون له ماهية . . .

وحينئذ يعود الكلام . . . فثبت أن القول بـأن المؤثر لا تأثير له في الماهيات ينفي التأثير والمؤثر ، وينفي الصنع والصانع بالكلية ، وذلك باطل ، فثبت أن المؤثر يؤثر في الماهيات ، فكل ما بالغير فإنه يرتفع بارتفاع الغير ، فلولا المؤثر لم تكن تلك الماهية ماهية ولا حقيقة ، فبقدرته صارت الماهيات ماهيات ، وصارت الحقائق حقائق . . . وقبل تأثير قدرته فلا ماهية ولا وجود ولا حقيقة ولا ثبوت .

وعند هذا يظهر صدق قولنا « **لا هو إلا هو** » . . . أي : لا تقرر لشيء من الماهيات ، ولا تخصص لشيء من الحقائق إلا بتقريره وتخصيصه . . . فثبت أنه « **لا هو إلا هو** » والله أعلم .

هل الأسماء توقيفية ؟!

في بقية المباحث عن أسماء الله تعالى ، وفيه مسائل .

المسألة الأولى : اختلف العلماء في أن أسماء الله تعالى توقيفية أم اصطلاحية ؟

قال بعضهم : لا يجوز إطلاق شيء من الأسماء والصفات على الله تعالى إلا إذا كان وارداً في القرآن والأحاديث الصحيحة .

وقال آخرون : كل لفظ دل على معنى يليق بجلال الله وصفاته فهو جائز ، وإلا فلا .

وقال الشيخ الغزالي رحمة الله عليه : الاسم غير ، والصفة غير ، فاسمي محمد ، واسمك أبو بكر ، فهذا من باب الأسماء . . . وأما الصفات فمثل وصف هذا الإنسان بكونه طويلاً فقيهاً كذا وكذا . . . إذا عرفت هذا الفرق فيقال : أما إطلاق الإسم على الله فلا يجوز إلا عند وروده في القرآن والخبر ، وأما الصفات فإنه لا يتوقف على التوقيف .

واحتج الأولون بأن قالوا : إن العالم له أسماء كثيرة ، ثم إنا نصف الله تعالى بكونه عالماً ولا نصفه بكونه طبيباً ولا فقيهاً ، ولا نصفه بكونه متيقناً ولا بكونه

متبيناً وذلك يدل على أنه لا بد من التوقف .

وأجيب عنه فقيل : أما الطبيب فقد ورد . . . نقل أن أبا بكر لما مرض قيل له : نحضر الطبيب ؟ . . قال : الطبيب أمرضني . . .

وأما الفقيه فهو عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه بعد دخول الشبهة فيه ، وهذا القيد ممتنع الثبوت في حق الله تعالى .

وأما المتيقن فهو مشتق من يقن الماء في الحوض إذا اجتمع فيه ؛ فاليقين هو العلم الذي حصل بسبب تعاقب الأمارات الكثيرة وترادفها حتى بلغ المجموع إلى إفادة الجزم ، وذلك في حق الله تعالى محال .

وأما التبيين فهو عبارة عن الظهور بعد الخفاء ، وذلك لأن التبيين مشتق من البينونة والإبانة ، وهي عبارة عن التفريق بين أمرين متصلين ، فإذا حصل في القلب اشتباه صورة بصورة ثم انفصلت إحداهما عن الأخرى فقد حصلت البينونة ، فلهذا سمي ذلك بياناً وتبييناً ، ومعلوم أن ذلك في حق الله تعالى محال .

لا حاجة إلى التوقيف ؟!

واحتج القائلون بأنه لا حاجة إلى التوقيف بوجوه . . .

فالأول . . . أن أسماء الله وصفاته مذكورة بالفارسية والتركية وبالهندية ، وإن شيئاً منها لم يرد في القرآن ولا في الأخبار ، مع أن المسلمين أجمعوا على جواز إطلاقها .

الثاني . . . أن الله تعالى قال ﴿ **ولِلَّهِ الأسماءُ الحُسْنى فادْعُوهُ بها** ﴾ والاسم لا يحسن إلا لدلالته على صفات المدح ونعوت الجلال . . . فكل اسم دل على هذه المعاني كان اسماً حسناً . . . فوجب جواز إطلاقه في حق الله تعالى ، تمسكاً بهذه الآية .

الثالث . . . أنه لا فائدة في الألفاظ إلا رعاية المعاني ، فإذا كانت المعاني صحيحة كان المنع من إطلاق اللفظة المعينة عبثاً .

وأما الذي قاله الشيخ الغزالي رحمة الله تعالى عليه فحجته أن وضع الاسم في حق الواحد منا يعد سوء أدب ، ففي حق الله أولى .

أما ذكر الصفات بالألفاظ المختلفة فهو جائز في حقنا من غير منع ، فكذلك في حق البارىء تعالى .

صفات لا يمكن إثباتها في حق الله ؟!

المسألة الثانية . . . إعلم أنه قد ورد في القرآن ألفاظ دالة على صفات لا يمكن إثباتها في حق الله تعالى .

ونحن نُعد منها صوراً . . . فأحدها الاستهزاء ، قال تعالى ﴿ اللهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِم ﴾ ثم إن الاستهزاء جهل ، والدليل عليه أن القوم لما قالوا لموسى عليه السلام ﴿ أَتَتَّخِذُنا هُزُواً ﴾ ﴿ قالَ أَعُوذُ باللَّهِ أَنْ أكونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ .

وثانيها . . . المكر . . . قال تعالى ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾ .

وثالثها . . . الغضب . . . قال تعالى ﴿ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ .

ورابعها . . . التعَجب . . . قال تعالى ﴿ بل عَجِبْتَ ويَسْخَرُونَ ﴾ فمن قرأ « عَجِبْتُ » بضم التاء كان

التعجب منسوباً إلى الله . . . والتعجب عبارة عن حالة تعرض في القلب عند الجهل بسبب الشيء .

وخامسها . . . التكبر . . . قال تعالى ﴿ العزيزُ الجبَّارُ المُتَكَبِّرُ ﴾ وهو صفة ذم .

وسادسها . . . الحياء قال تعالى ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيي أنْ يَضْرِبَ مَثَلاً ﴾ والحياء عبارة عن تغير يحصل في الوجه والقلب عند فعل شيء قبيح .

واعلم أن القانون الصحيح في هذه الألفاظ أن نقول : لكل واحد من هذه الأحوال أمور توجد معها في البداية ، وآثار تصدر عنها في النهاية .

مثاله أن الغضب حالة تحصل في القلب عند غليان دم القلب وسخونة المزاج ، والأثر الحاصل منها في النهاية إيصال الضرر إلى المغضوب عليه . . . فإذا سمعت الغضب في حق الله تعالى فأكمله على نهايات الأعراض ، لا على بدايات الأعراض ، وقس على ذلك .

لِلَّه « ٤٠٠٠ » اسم ؟!

المسألة الثالثة . . . رأيت في بعض كتب التذكير

أن لله تعالى أربعة آلاف اسم . . . ألف منها في القرآن والأخبار الصحيحة . . . وألف منهـا في التوراة . . . وألف في الإنجيل . . . وألف في الزبور .

ويقال : ألف آخر في اللوح المحفوظ ، ولم يصل ذلك الألف إلى عالم البشر .

وأقول : هذا غير مستبعد ، فإنا بينا أن أقسام صفات الله بحسب السلوب والإضافات غير متناهية ، ونبهنا على تقرير هذا الموضع وشرحناه شرحاً بليغاً .

بل نقول : كل من كان إطلاعه على آثار حكمة الله تعالى في تدبير العالم الأعلى وتدبير العالم الأسفل أكثر كان إطلاعه على أسماء الله تعالى أكثر ، ووقوفه على الصفات الموجبة للمدح والتعظيم أكثر .

فمن طالع تشريح بدن الإنسان ، ووقف فيه على ما يقرب من عشرة آلاف نوع من أنواع الرحمة والحكمة في تخليق بدن الإنسان ، فقد حصل في عقله عشرة آلاف نوع من أسماء الله تعالى الدالـة على المدح والتعظيم .

ثم إن من وقف على العدد الذي ذكرناه من أقسام

الرحمة والحكمة في بدن الإنسان ، صار ذلك منبهاً للعقل على أن الذي لم يعرفه من أقسام الحكمة والرحمة في تخليق هذا البدن أكثر مما عرفه .

عجائب الحكمة في خلق الإنسان ؟!

وذلك لما عرف أن الأرواح الدفاعية من الغضب سبعة ، عرف لكل واحد منها فائدة وحكمة .

ثم لما عرف أن كل واحد من هذه الأرواح ينقسم إلى ثلاثة أقسام أو أربعة عرف بالجبلة الشديدة وجه الحكمة في كل واحد من تلك الأقسام .

ثم إن العقل يعلم أن كل واحد من تلك الأقسام ينقسم إلى شظايا دقيقة وكل واحدة من تلك الشظايا تنقسم إلى أقسام أخر ، وكل واحد من تلك الأقسام يتصل بعضو معين اتصالاً معيناً ، ويكون وصول ذلك القسم إلى ذلك العضو في ممر معين ، إلا أنها لما كثرت ودقت خرجت عن ضبط العقل .

فثبت أن تلك العشرة آلاف تنبه العقل على أن أقسام حكمة الله تعالى في تخليق هذا البدن خارج عن

التعديد والتحديد والاحصاء والإستقصاء . . . كما قال تعالى ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾ . . .

فكل من وقف على نوع آخر من أنواع تلك الحكمة فقد وصل إلى معرفة اسم آخر من أسماء الله تعالى .

لا نهاية لأسماء الله الحسنى ؟!

ولما كان لا نهاية لمراتب حكمة الله تعالى ورحمته ، فكذلك لا نهاية لأسمائه الحسنى ولصفاته العليا .

وذكر جالينوس في كتاب « منافع الأعضاء » أنه لما صنف ذلك الكتاب لم يكتب فيه منافع مجمع النور ، قال : وإنما تركت كتابتها ضنة بها لشرفها ، فرأيت في بعض الليالي كأن ملكاً نزل من السماء وقال : جالينوس ، إن إلهك يقول : لم أخفيت حكمتي عن عبادي ؟! . . . قال : فلما انتهيت صنفت في هذا المعنى كتاباً مفرداً ، وبالغت في شرحه .

فثبت بما ذكرنا أنه لا نهاية لأسماء الله الحسنى .

المناسبة بين الخلق وبين أسماء الله ؟!

إن بين الخلق وبين أسماء الله تعالى مناسبات عجيبة .

والعاقل لا بد وأن يعتبر تلك المناسبات حتى ينتفع بالذكر .

والكلام في شرح هذا الباب مبني على مقدمة عقلية .

وهي أنه ثبت عندنا أن النفوس الناطقة البشرية مختلفة بالجوهر والماهية .

فبعضها إلهية مشرقة حرة كريمة وبعضها سفلية ظلمانية نذلة خسيسة .

وبعضها رحيمة عظيمة الرحمة ، وبعضها قاسية قاهرة .

وبعضها قليلة الحب لهذه الجسمانيات قليلة الميل إليها ، وبعضها محبة للرياسة والاستعلاء .

ومن اعتبر أحوال الخلق علم أن الأمر كما ذكرناه .

ثم إنا نرى هذه الأحوال لازمة لجواهر النفوس .

وإن كل من راعى أحوال نفسه علم أن له منهجاً معيناً وطريقاً مبيناً في الارادة والكراهة والرغبة والرهبة .

وأن الرياضة والمجاهدة لا تقلب النفوس عن أحوالها الأصلية ومناهجها الطبيعية ، وإنما تأثير الرياضة في أن تضعف تلك الأخلاق ولا تستولي على الإنسان .

فأما أن ينقلب من صفة أخرى فذلك محال .

وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام « **الناس معادن كمعادن الذهب والفضة** » .

وبقوله عليه الصلاة والسلام : « **الأرواح جنود مجندة** » .

إذا عرفت هذا فنقول : الجنسية علة الضم .

فكل اسم من أسماء الله تعالى دال على معنى معين ، فكل نفس غلب عليها ذلك المعنى كانت تلك النفس شديدة المناسبة لذلك الاسم .

فإذا واظب على ذكر ذلك الاسم انتفع به سريعاً .

وسمعت أن الشيخ أبا النجيب البغدادي السهروردي كان يأمر المريد بالأربعين مرة أو مرتين بقدر ما يراه من المصلحة .

ثم كان يقرأ عليه الأسماء التسعة والتسعين ، وكان ينظر إلى وجهه فإن رآه عديم التأثر عند قراءتها عليه قال له : أخرج إلى السوق واشتغل بمهمات الدنيا فإنك ما خلقت لهذا الطريق .

وإن رآه متأثراً عند سماع اسم خاص مزيد التأثر أمره بالمواظبة على ذلك الذكر .

وأقول : هذا هو المعقول ، فإنه لما كانت النفوس مختلفة كان كل واحد منها مناسباً لحالة مخصوصة ، فإذا اشتغلت تلك النفس بتلك الحالة التي تناسبها كان خروجها من القوة إلى الفعل سهلاً ليناً يسيراً .

وليكن هذا آخر كلامنا في البحث عن مطلق الأسماء ، والله الهادي .

الله ؟ !

في المباحث المتعلقة بقولنا « الله » وفيه مسائل . . .

المسألة الأولى . . . المختار عندنا أن هذا اللفظ اسم على الله تعالى ، وأنه ليس بمشتق البتة ، وهو قول الخليل وسيبويه ، وقول أكثر الأصوليين والفقهاء ، ويدل عليه وجوه وحجج . . .

الحجة الأولى . . . أنه لو كان لفظا مشتقا لكان معناه معنى كليا لا يمنع نفس مفهومة من وقوع الشركة فيه لأن اللفظ المشتق لا يفيد إلا أنه شيء ما مبهم حصل له ذلك المشتق منه وهذا المفهوم لا يمنع من وقوع الشركة فيه بين كثيرين . . . فثبت أن هذا اللفظ لو كان مشتقا لم يمنع وقوع الشركة فيه بين كثيرين ، ولو كان كذلك لما كان قولنا « لا إله إلا الله » توحيدا حقا مانعا من وقوع الشركة فيه بين كثيرين . . . لأن بتقدير أن يكون الله لفظا مشتقا كان قولنا « الله » غير مانع من أن يدخل تحته أشخاص كثيرة . . . وحينئذ لا يكون قولنا « لا إله إلا الله » موجباً للتوحيد المحض .

وحيث أجمع العقلاء على أن قولنا « لا إله إلا الله » يوجب التوحيد المحض علمنا أن قولنا « الله » اسم علم موضوع لتلك الذات المعينة ، وأنها ليست من الألفاظ المشتقة .

الحجة الثانية . . . أن من أراد أن يذكر ذاتا معينه ثم يذكره بالصفات فإنه يذكر اسمه أولا ثم يذكر عقيب الإسم الصفات . . . مثل أن يقول : زيد الفقيه النحوي الأصولي ، إذا عرفت هذا فنقول : إن كل من أراد أن يذكر الله تعالى بالصفات المقدسة فإنه يذكر أولا لفظة « الله » ثم يذكر عقيبه صفات المدائح مثل أن يقول : الله العالم القادر الحكيم ، ولا يعكسون هذا ، فلا يقولون : العالم القادر الله ، وذلك يدل على أن قولنا « الله » اسم عَلَم .

فإن قيل : أليس أنه تعالى قال في أول سورة إبراهيم ﴿ العزيزِ الحميدِ . اللَّهِ الذي له ما في السماواتِ وما في الأرضِ ﴾ ؟

قلنا : ههنا قراءتان . . . منهم من قرأ « اللَّهُ » بالرفع ، وحينئذ يزول السؤال ؛ لأنه لما جعله مبتدأ فقد أخرجه عن جعله صفة لما قبله .

وأما من قرأ بالجر فهو نظير لقولنا : هذه الدار ملك للفاضل العالم زيد ، وليس المراد أنه جعل قوله زيد صفة للعالم الفاضل . . . بل المعنى أنه لما قال هذه

الدار ملك للعالم الفاضل بقي الإشتباه في أنه : من ذلك العالم الفاضل ؟ . . . فقيل عقيبه زيد ، ليصير هذا مزيلا لذلك الإشتباه ، ولما لم يلزم ههنا أن يقال اسم العلم صار صفة فكذلك في هذه الآية .

الحجة الثالثة . . . قال تعالى : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ . . . وليس المراد من الإسم في هذه الآية الصفة وإلا لكذب قوله ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ فوجب أن يكون المراد اسم العلم ، فكل من أثبت لله اسم علَم قال ليس ذاك إلا قولنا « الله » .

ليس اسم عَلَم ؟ !

واحتج القائلون بأنه ليس اسم عَلَم بوجوه وحجج . . .

الحجة الأولى . . . قوله تعالى ﴿ وهُوَ اللَّهُ في السماوات ﴾ . . .

وقوله ﴿ هو اللَّهُ الذي لا إلهَ إلاَّ هو ﴾ . . .

فإن قوله « الله » لا بد وأن يكون صفة ، ولا يجوز أن يكون اسم عَلَم ، بدليل أنه لا يجوز أن يقال : هو زيد

في البلد ، وهو بكر ، ويجوز أن يقال : هو العالم الزاهد في البلد ، وبهذا الطريق يعترض على قول النحويين : إن الضمير لا يقع موصوفا ولا صفة . . . وإذا ثبت كونه صفة امتنع أن يكون اسم علَم .

الحجة الثانية . . . أن اسم العَلَم قائم مقام الإشارة ، فلما كانت الإشارة ممتنعة في حق الله تعالى كان اسم العلم ممتنعا في حقه .

الحجة الثالثة . . . أن اسم العَلَم إنما يصار إليه ليتميز شخص عن شخص آخر يشبهه في الحقيقة والماهية ، وإذا كان هذا في حق الله ممتنعا كان القول بإثبات الإسم العلَم محالا في حقه .

والجواب عن الأول . . . لِم لا يجوز أن يكون ذلك جاريا مجرى أن يقال : هذا زيد الذي لا نظير له في العلم والزهد ؟

والجواب عن الثاني . . . أن الإسم العَلَم هو الذي وضع لتعيين الذات المعينة ، ولا حاجة فيه إلى كون ذلك المسمى مشارا إليه بالحس أم لا . . . وهذا هو الجواب عن الحجة الثالثة .

هل هو اسم مشتق ؟ !

المسألة الثانية . . . الذين قالوا : إنه اسم مشتق ذكروا فيه فروعا . . .

الفرع الأول . . . أن الإله هو المعبود ، سواء عبد بحق أو بباطل ، ثم غلب في عرف الشرع على المعبود بالحق ، وعلى هذا التفسير لا يكون إلها في الأزل .

واعلم أنه تعالى هو المستحق للعبادة ، وذلك لأنه تعالى هو المنعم بجميع النعم أصولها وفوعها . . . وذلك لأن الموجود إما واجب وإمامامكن. . . والواجب واحد وهو الله تعالى . . . وما سواه ممكن ، والممكن لا يوجب إلا بالمرجح ، فكل الممكنات إنما وجدت بإيجاده وتكوينه ، إما ابتداء وإما بواسطة ، فجميع ما حصل للعبد من أقسام النعم لم يحصل إلا من الله .

فثبت أن غاية الإنعام صادرة عن الله ، والعبادة غاية التعظيم ، فإذا ثبت هذا فنقول : إن غاية التعظيم لا يليق إلا لمن صدرت عنه غاية الإنعام ، فثبت أن المستحق للعبودية ليس إلا الله تعالى .

سخف العبادة طلبا للثواب ؟ !

الفرع الثاني . . . أن من الناس من يعبد الله لطلب الثواب وهو جهل وسخف ، ويدل عليه وجوه . . .

الأول . . . أن من عبد الله ليتوصل بعبادته إلى شيء آخر كان المعبود في الحقيقة هو ذلك الشيء[1] !

فمن عبد الله لطلب الثواب كان معبوده في الحقيقة هو الثواب . . . وكان الله تعالى وسيلة إلى الوصول إلى ذلك المعبود !

وهذا جهل عظيم !

الثاني . . . أنه لو قال : أصلي لطلب الثواب أو للخوف من العقاب ، لم تصح صلاته .

الثالث . . . أن من عمل عملا لغرض آخر كان بحيث لو وجد ذلك الغَرض بطريق آخر لترك الواسطة . . . فمن عبد الله للأجر والثواب كان بحيث لو وجد الأجر والثواب بطريق آخر لم يعبد الله

---

(١) ومضة نور غالية جدا . . . لو تفكر فيها اكثر العابدين . . . المغرورين بعباداتهم . . . لأعادوا النظر في طاعاتهم!!!

ومن كان كذلك لم يكن محبا لله ، ولم يكن راغبا في عبادة الله .

وكل ذلك جهل !!

ومن الناس من يعبد الله لغرض أعلى من الأول ، وهو أن يتشرف بخدمة الله ، لأنه إذا شرع في الصلاة حصلت النية في القلب . . . وتلك النية عبارة عن العلم بعزة الربوبية وذلة العبودية . . . وحصل الذكر في اللسان ، وحصلت الخدمة في الجوارح والأعضاء ، فيتشرف كل جزء من أجزاء العبد بخدمة الله ، فمقصود العبد حصول هذا الشرف .

مَن هو الإله ؟ !

الفرع الثالث . . . من الناس من طعن في قول من يقول : الإله هو المعبود . . . من وجوه . . .

الأول . . . أن الأوثان عبدت مع أنها ليست آلهة .

الثاني . . . أنه تعالى إله الجمادات والبهائم ، مع أن صدور العبادة منها محال[1] .

---

(١) هذا قول باطل . . . ولو تذكروا قوله تعالى « وإنْ من شيء إلا . . . =

الثالث . . . أنه تعالى إله المجانين والأطفال ، مع أنه لا تصدر العبادة عنها .

الرابع . . . أن المعبود ليس له بكونه معبـودا صفة ، لأنه لا معنى لكونه معبودا إلا أنه مذكور بذكر ذلك الإنسان ، ومعلوم بعلمه ، ومراد خدمته بإرادته ، وعلى هذا التقدير فلا تكون الإلهية صفة الله تعالى .

الخامس . . . يلزم أن يقال : إنه تعالى ما كان إلها في الأزل .

الفرع الرابع . . . من الناس من قال : الإله ليس عبارة عن المعبود ، بل الإله هو الذي يستحق أن يكون معبودا .

وهذا القول أيضا يرد عليه أن لا يكون إلهـا للجمادات والبهائم والأطفال والمجانين ، وأن لا يكون إلها في الأزل .

ومنهم من قال : إنه القادر على أفعال لو فعلها لاستحق العبادة ممن يصح صدور العبادة عنه .

=تُسَبِّحُ : بَحَمْدِهِ ولكن لا تفقهونَ تَسبيحَهُم » ما نطقوا بمثل هذا !

واعلم أنا إن فسرنا الإله بالتفسيرين الأولين لم يكن إلها في الأزل .

ولو فسرناه بالتفسير الثالث كان إلها في الأزل .

محبوب لذاته ؟ !

التفسير الثاني . . . الإله مشتق من ألهت إلى فلان ، أي : سكنت إليه .

فالعقول لا تسكن إلا إلى ذكره ، والأرواح لا تعرج إلا بمعرفته ، وبيانه من وجوه . . .

الأول : أن الكمال محبوب لذاته ، وما سوى الحق فهو ناقص لذاته ؛ لأن الممكن من حيث هو هو معدوم ، والعدم أصل النقصان ، والناقص بذاته لا يكمل إلا بتكميل الكامل بذاته .

فإذا كان الكامل محبوبا لذاته ، وثبت أن الحق كامل لذاته ، وجب كونه محبوبا لذاته .

الثاني . . . أن كل ما سواه فهو ممكن لذاته ، والممكن لذاته لا يقف عند نفسه ، بل يبقى متعلقا بغيره ، لأنه لا يوجد إلا بوجود غيره ، فعلى هذا كل

ممكن فإنه لا يقف عند نفسه بل ما لم يتعلق بالواجب لذاته لم يوجد ، وإذا كان الأمر كذلك في الـوجود الخارجي وجب أن يكون كذلك في الوجود العقلي . . .

فالعقول متـرقبة إلى عتبـة رحمته ، والخـواطر متمسكة بذيل فضله وكرمه .

وهذان الوجهان عليهما التعويل في تفسير قوله تعالى ﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ ﴾ .

الواصلون . . . والمحرومون ؟ !

التفسير الثالث . . . أنه مشتق من الوله . . . وهو ذهاب العقل .

واعلم أن الخلق قسمان . . . واصلون إلى ساحل بحر معرفته ، ومحرومون .

فالمحرومون قد بقوا في ظلمات الحيـرة وتيه الجهالة ، فكأنهم فقدوا عقولهم وأرواحهم .

وأما الواجدون فقد وصلوا إلى عرصة النور ، وفسحة الكبرياء والجلال ، فتاهوا في ميادين الصمدية ، وبادُوا في عرصة الفردانية .

فثبت أن الخلق كلهم والهون في معرفته .

فلا جرم كان الإله الحق للخلق هو هو .

وبعبارة أخرى وهي أن الأرواح البشرية تسابقت في ميادين التوحيد والتمجيد . . . فبعضها تخلفت وبعضها سبقت . . . فالتي تخلفت بقيت في ظلمات الغبار ، والتي سبقت وصلت إلى عالم الأنوار .

فالأولون بادوا في أودية الظلمات ، والآخرون طاشوا في أنوار عالم المكرمات .

الأعلى ؟ !

التفسير الرابع . . . أنه مشتق من لاة إذا ارتفع .

والحق سبحانه وتعالى هو المرتفع عن مشابهة الممكنات ، ومناسبة المحدثات .

لأن الواجب لذاته ليس إلا هو .

والكامل لذاته ليس إلا هو .

والأحد الحق في هويته ليس إلا هو .

والموجد لكل ما سواه ليس إلا هو .

وأيضا فهو تعالى مرتفع عن أن يقال : إن إرتفاعه بحسب المكان ، لأن كل إرتفاع حصل بسبب المكان فهو للمكان بالذات وللمتمكن بالعرض ، لأجل حصوله في ذلك المكان ، وما بالذات أشرف مما بالغير ، فلو كان هذا الإرتفاع بسبب المكان لكان ذلك المكان أعْلى وأشرف من ذات الرحمن ، ولمّا كان ذلك باطلا علمنا أنه سبحانه وتعالى أعلى من أن يكون علوه بسبب المكان ، وأشرف من أن ينسب إلى شيء مما حصل في عالم الإمكان .

العجز عن درك الإدراك إدراك ؟ !

التفسير الخامس . . . من أله في الشيء إذا تحير فيه ولم يهتد إليه .

فالعبد إذا تفكر فيه تحير ؛ لأن كل ما يتخيله الإنسان ويتصوره فهو بخلافه .

فإن أنكر العقل وجوده كذبته نفسه !

لأن كل ما سواه فهو محتاج ، وحصول المحتاج بدون المحتاج إليه محال .

وإن أشار إلى شيء . . . يضبطه الحس والخيال ، وقال إنه هو كذبته نفسه أيضاً !

لأن كل ما يضبطه الحس والخيال فأمارات الحدوث ظاهرة فيه .

فلم يبق في يد العقل إلا أن يقر بالوجود والكمال ، مع الإعتراف بالعجز عن الإدراك .

فههنا العجز عن درك الإدراك إدراك !

ولا شك أن هذا موقف عجيب تتحير العقول فيه ، وتضطرب الألباب في حواشيه !!!

محتجب عن العقول ؟ !

التفسير السادس . . . من لاه يلوه . . . إذا احتجب .

ومعنى كونه محتجبا من وجوه . . .

الأول . . . أنه بكنه صمديته محتجب عن العقول .

الثاني . . . أن لو قدرنا أن الشمس كانت واقفة في

وسط الفلك غير متحركة كانت الأنوار باقية على الجدران غير زائلة عنها . . . فحينئذ كان يخطر بالبال أن هذه الأنوار الواقعة على هذه الجدران ذاتية لها . . . إلا لما شاهدنا أن الشمس تغيب وعند غيبتها تزول هذه الأنوار عن هذه الجدران ، فبهذا الطريق علمنا أن هذه الأنوار فائضة عن قرص الشمس . . . فكذا ههنا الوجود الواصل إلى جميع عالم المخلوقات من جناب قدرة الله تعالى ، كالنور الواصل من قرص الشمس .

فلو قدرنا أنه كان يصح على الله تعالى الطلوع والغروب والغيبة والحضور ، لكان عند غروبه يزول ضوء الوجود على الممكنات ، فحينئذ كان يظهر أن نور الوجود منه .

لكنه لما كان الغروب والطلوع عليه محالا لا جرم حظر ببال بعض الناقصين أن هذه الأشياء موجودة بذواتها ولذواتها !

فثبت أن لا سبب لاحتجاب نوره إلا كمال نوره .

فلهذا قال بعض المحققين : سبحان من احتجب عن العقول بشدة ظهوره . . . واختفى عنها بكمال نوره .

وإذا كان كذلك ظهر أن حقيقة الصمدية محتجبة عن العقول .

ولا يجوز أن يقال : محجوبة . . . لأن المحجوب مقهور ، والمقهور يليق بالعبد . . . أما الحق فقاهر ، وصفة الإحتجاب صفة القهر ، فالحق محتجب ، والخلق محجوبون .

يا رب . . . يا رب ؟ !

التفسير السابع . . . اشتقاقه من أله الفصيل . . . إذا ولع بأمه .

والمعنى أن العباد مولهون مولعون بالتضرع إليه في كل الأحوال .

ويدل عليه أمور . . .

الأول . . . أن الإنسان إذا وقع في بلاء عظيم وآفة قوية فهنالك ينسى كل شيء إلا الله تعالى !

فيقول بقلبه ولسانه : يا رب ، يا رب .

فإذا تخلص عن ذلك البلاء ، وعاد إلى منازل

الآلاء والنعماء ، أخذ يضيف ذلك الخلاص إلى الأسباب الضعيفة والأحوال الخسيسة !!

وهذا فعل متناقض ، لأنه إن كان المخلص عن الآفات والموصل إلى الخيرات غير الله وجب الرجوع في وقت نزول البلاء إلى غير الله !

وإن كان مصلح المهمات هو الله تعالى في وقت البلاء وجب أن يكون الحال كذلك في سائر الأوقات .

وأما الفزع إليه عند الضرورات والإعراض عنه عند الراحات ، فلا يليق بأرباب الهدايات .

والثاني . . . أن الخير والراحة مطلوب من الله .

والثالث . . . أن المحسن في الظاهر أما الله أو غيره ، فإن كان غيره وذلك الغير لا يحسن إلا إذا خلق الله في قلبه داعية الإحسان ، فالحق سبحانه وتعالى هو المحسن في الحقيقة . . . والمحسن مرجوع إليه في كل الأوقات . . . والخلق مشغوفون بالرجوع إليه .

شكا بعض المريدين من كثرة الوسواس ، فقال الأستاذ : كنت حدادا عشر سنين ، وقصارا عشرة

أخرى ، وبوابا عشرة ثالثة ، فقالوا : ما رأيناك فقلت ذلك ؟ !

قال : فقلت ، ولكنكم ما رأيتم ! . أما عرفتم أن القلب كالحديد ؟ ! . فكنت كالحداد ألينه بنار الخوف عشر سنين . . . ثم بعد ذلك شرعت في غسله عن الأوضار والأقذار عشر سنين . . . ثم بعد هذه الأحوال جلست على باب حجرة القلب عشرة أخرى سالا سيف « لا إله إلا الله » . . . فلم أزل حتى يخرج منه حب غير الله . . . ولم أزل حتى يدخل فيه حب الله تعالى . . . فلما خلت عرصة القلب عن غير الله تعالى . . . وقويت فيه محبة الله . . . سقطت من بحار عالم الجلال قطرة من النور . . . فغرق القلب في تلك القطرة . . . وفنى عن الكل . . . ولم يبق فيه إلا محض سر « لا إله إلا الله » ! !

وهو يجير . . . ولا يجار عليه ؟ !

التفسير الثامن . . . أن اشتقاق لفظ « الإله » من أله الرجلِ يأله إذا فزع من أمر نزل به فألهه أي أجاره .

والمجير لكل الخلائق من كل المضار هو الله

سبحانه وتعالى ، لقوله تعالى ﴿ وهو يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ .

ولأنه هو المنعم لقوله تعالى ﴿ وما بِكُم مِّن نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ .

ولأنه هو المطعم لقوله تعالى ﴿ وهو يُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ ﴾ .

ولأنه هو الموجد لقوله تعالى ﴿ قل كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ . . . فهو سبحانه وتعالى قهار للعدم بالوجود والتحصل . . . جبار لها بالقوة والفعل والتكميل . . .

فكان في الحقيقة . . . **هو الله ولا شيء سواه** .

ففِرُّوا إلى الله ؟ !

وههنا لطائف وفوائد . . .

الفائدة الأولى . . . عادة المديون أنه إذا رأى صاحب الدين من البعد فإنه يفرمنه ، والله الكريم يقول : عبادي ، أنتم غرمائي بكثرة ذنوبكم ، ولكن لا تفروا مني ، بل أقول ﴿ ففِرُّوا إلى اللَّهِ ﴾ فإني أنا الذي أقضي ديونكم وأغفر ذنوبكم .

وأيضاً الملوك يغلقون أبوابهم عن الفقراء دون الأغنياء ، وأنا أفعل ضد ذلك .

بحار الرحمة غير متناهية ؟ !

الفائدة الثانية . . . قال ﷺ : **إن لله تعالى مائة رحمة ، أنزل منها رحمة واحدة ، بين الجن والإنس والطير والهوام ، فبها يتعاطفون ويتراحمون ، وأخر تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة .**

وأقول : إنه ﷺ إنما ذكر هذا الكلام على سبيل التفهيم ، وإلا فبحار الرحمة غير متناهية ، فكيف يعقل تحديدها بحد معين ؟ !

لا يثقل مع ذكر الله شيء ؟ !

الفائدة الثالثة . . . قال ﷺ : **إن الله عز وجل يقول يوم القيامة للمذنبين : هل أحببتم لقائي ؟ ، فيقولون : نعم يا رب ، فيقول الله تعالى : ولم ؟ ، فيقولون : رجونا عفوك وفضلك ، فيقول الله تعالى : إني قد أوجبت لكم مغفرتي .**

الفائدة الرابعة . . . قال عبد الله بن عمر : قال

رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل ينشر على بعض عباده يوم القيامة تسعة وتسعين سجلا ، كل واحد منها مثل مد البصر ، فيقول له : هل تنكر من هذا شيئا ؟ ، هل ظلمك الكرام الكاتبون ؟ ، فيقول : لا يا رب ، فيقول الله تعالى : فهل كان لك عذر في عمل هذه الذنوب ؟ ، فيقول : لا يا رب ، فيضع ذلك العبد قلبه على النار ، فيقول الله تعالى : إن لك عندي حسنة وإنه لا ظلم اليوم ، ثم يخرج بطاقة فيها « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله » فيقول العبد : يا رب ، كيف تقع هذه البطاقة في مقابلة هذه السجلات ؟ ! ، فتوضع البطاقة في كفة والسجلات في كفة أخرى ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة . ولا يثقل مع ذكر الله شيء .

ابني . . . ابني ؟ !

الفائدة الخامسة . . . وقف صبي في بعض الغزوات ينادي عليه في من يزيد ، في يوم صائف شديد الحر ، فبصرت به امرأة ، فعدت إلى الصبي وأخذته وألصقته إلى بطنها ، ثم ألقت ظهرها على البطحاء

وأجلسته على بطنها تقيه الحر ، وقالت : ابني ، ابني . . . فبكى الناس ، وتركوا ما هم فيه . . . فأقبل رسول الله ﷺ حتى وقف عليهم ، فأخبروه الخبر . . . فقال : **أعجبتم من رحمة هذه بابنها ؟ ! ، فإن الله تعالى أرحم بكم جميعا من هذه المرأة بابنها . . . فتفرق المسلمون على أعظم أنواع الفرح والبشارة .**

خواص الإسم « الله » ؟ !

إعلم أن هذا الإسم مختص بخواص لم توجد في سائر أسماء الله تعالى ، ونحن نشير إليها . . .

فالخاصة الأولى . . . أنك إذا حذفت الألف من قولك « الله» بقي الباقي على صورة « للَّهِ » وهو مختص به سبحانه !

كما في قوله ﴿ ولِلَّهِ جنودُ السماواتِ والأرضِ ﴾ ﴿ ولِلَّهِ خزائِنُ السماواتِ والأرضِ ﴾ .

وإن حذفت عن هذه البقية اللام الأولى بقيت البقية على صورة « له » كما في قوله تعالى ﴿ لَهُ مَقاليدُ السماواتِ والأرضِ ﴾ وقوله ﴿ لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ ﴾ !

فإن حذفت اللام الباقية كانت البقية هو قولنا « هُو » !

وهو أيضا يدل عليه سبحانه ، كما في قوله ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وقوله ﴿ هُوَ الحَيُّ لا إلهَ إلاَّ هُو ﴾ .

والواو زائدة بدليل سقوطها في التثنية والجمع ، فإنك تقول : هما ، هم ، فلا تبقى الواو فيهما .

فهذه الخاصية موجودة في لفظ « الله » غير موجودة في سائر الأسماء .

وكما حصلت هذه الخاصية بحسب اللفظ فقد حصلت أيضا بحسب المعنى .

فإنك إذا دعوت الله بالرحمن فقد وصفته بالرحمة ، وما وصفته بالقهر .

وإذا دعوته بالعليم فقد وصفته بالعلم ، وما وصفته بالقدرة .

وأما إذا قلت يا الله ، فقد وصفته بجميع الصفات ؛ لأن الإله لا يكون إلها إلا إذا كان موصوفا بجميع هذه الصفات .

فثبت أن قولنا « الله » قد حصلت له هذه الخاصية التي لم تحصل لسائر الأسماء .

الخاصية الثانية . . . أن كلمة الشهادة وهي الكلمة التي بسببها ينتقل الكافر من الكفر إلى الإسلام لم يحصل فيها إلا هذا الإسم ، فلو أن الكافر قال : أشهد أن لا إله إلا الرحمن أو إلا الرحيم ، أو إلا الملك ، أو إلا القدوس ، لم يخرج من الكفر ولم يدخل في الإسلام . . . أما إذا قال أشهد أن لا إله إلا الله فإنه يخرج من الكفر ويدخل في الإسلام .

وذلك يدل على اختصاص هذا الإسم بهذه الخاصية الشريفة .

والله الهادي إلى الصواب .

الرحمن الرحيم ؟ !

إعلم أن الأشياء على أربعة أقسام . . .

الذي يكون نافعا وضروريا معا

والذي يكون نافعا ولا يكون ضروريا

والذي يكون ضروريا ولا يكون نافعا

والذي لا يكون نافعا ولا يكون ضرُوريا .

أما القسم الأول . . . وهو الـذي يكون نـافعا وضروريا معا ، فإما أن يكون كذلك في الدنيا فقط ، وهو مثل النَفَس فإنه لو انقطع منك لحظة واحدة حصل الموت . . . وإما أن يكون كذلك في الآخرة ، وهو معرفة الله تعالى ، فإنها إن زالت عن القلب لحظة واحدة مات القلب ، واستوجب عذاب الأبد .

وأما القسم الثاني . . . وهو الذي يكون نافعا ولا يكون ضرُوريا ، فهو كالمال في الدنيا وكسائر العلوم والمعارف في الآخرة .

وأما القسم الثالث . . . وهو الذي يكون ضرُوريا ولا يكون نافعا ، فكالمضار التي لا بد منها في الدنيا ، كالأمراض ، والموت ، والفقر ، والهرم ، ولا نظير لهذا القسم في الآخرة ، فإن منافع الآخرة لا يلزمها شيء من المضار .

وأما القسم الرابع . . . وهو الذي لا يكون نافعا ولا ضروريا ، فهـو كالفقـر في الدنيـا والعذاب في الآخرة .

إذا عرفت هذا فنقول : قد ذكرنا أن النَّفس في الدنيا نافع وضرُوري ، فلو انقطع عن الإنسان لحظة لمات في الحال .

وكذلك معرفة الله تعالى أمر لا بد منه في الآخرة ، فلو زالت عن القلب لحظة لمات القلب لا محالة لكن الموت الأول أسهل من الثاني ، لأنه لا يتألم في الموت الأول إلا ساعة واحدة .

وأما الموت الثاني فإنه يبقى ألمه أبد الآباد .

وكما أن التنفس له أثران . . . أحدهما . . . إدخال النسيم الطيب على القلب وابقاء اعتداله وسلامته .

والثاني . . . إخراج الهواء الفاسد الحار المحترق عن القلب .

كذلك الفكر له أثران . . . أحدهما . . . إيصال نسيم الحجة والبرهان إلى القلب وإبقاء إعتدال الإيمان والمعرفة عليه .

والثاني . . . إخراج الهواء الفاسد المتولد من

الشبهات عن القلب ، وما ذاك إلا بأن يعرف أن هذه المحسوسات متناهية في مقاديرها منتهية بالآخرة إلى الفناء بعد وجودها .

فمن وقف على هـذه الأحـوال بقي آمنـا من الآفات ، واصلا إلى الخيرات والمسرات .

وكمال هذين الأمرين يكشف لعقلك بأن تعرف أن كل ما وجدته ووصلت إليه فهو قطرة من بحار رحمة الله ، وذرّة من أنوار إحسانه .

فعند هذا ينفتح على قلبك معرفة كون الله تعالى رحمانا رحيما .

أنـــت نَـــفْس . . . وبـــدن . . . وروح . . . وجسد ؟ !

فـــإذا أردت أن تعـــرف هـــذا المـعنـى على التفصيل . . .

فاعلم أنك جوهر مـركب من نفس ، وبدن ، وروح ، وجسد .

أما نفسك . . . فلا شك أنها كانت جاهلة في مبدأ

الفطرة كما قال تعالى ﴿ واللَّهُ أخْـرَجَكُم مِّنْ بُطُون أمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لكُمُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ والأَفْئِدَةَ لعَلَّكُم تَشْكُرُونَ ﴾ .

ثم تأمل في مراتب القوى الحساسة والمحركة والمدركة والعاقلة .

وتأمل في مراتب المعقولات وفي جهاتها ، واعلم أنه لا نهاية لها البتة .

ولـــو أن العـاقـــل أخـــذ في اكتســـاب العلم بالمعقولات ، وسرى فيها سريان البرق الخاطف والريح العاصف ، وبقي في ذلك السير أبد الآبـدين ودهر الداهرين لكان الحاصل له من المعارف والعلوم قدرا متناهيا ، ولكانت المعلومات التي ما عرفها ولم يصل إليها أيضا غير متناهية .

والمتناهي في جنب غير المتناهي قليل في كثير .

فعند هذا يظهر له أن الذي قاله الله تعالى في قوله ﴿ وَما أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً ﴾ حق وصدق .

تأمل عجائب بدنك ؟ !

وأما بدنك . . . فاعلم أنه جوهر مركب من الأخلاط الأربعة ، فتأمل كيفية تركيبها وتشريحها ، وتعرف ما في كل واحد من الأعضاء والأجزاء من المنافع العالية والآثار الشريفة .

وحينئذ يظهر لك صدق قوله تعالى ﴿ **وإن تعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها** ﴾ .

وحينئذ ينجلي لك أثر من آثار كمال رحمته في خلقك وهدايتك .

فتفهم شيئا قليلا من معنى قوله الرحمن الرحيم .

فإن قيل : فهل لغير الله رحمة أم لا ؟

قلنا : الحق أن الرحمة ليست إلا لله .

ثم بتقدير أن تكون لغير الله رحمة ، إلا أن رحمة الله أكمل من رحمة غيره . . . وههنا مقامان . . .

المقام الأول . . . في بيان أنه . . .

فنقول : الذي يدل عليه وجوه . . .

الأول . . . أن الجود هو إفاضة ما ينبغي لا لعوض .

فكل أحد غير الله فهو إنما يعطي ليأخذ عوضا .

إلا أن الأعواض أقسام . . .

منها جسمانية مثل أن يعطي دينارا ليأخذ كرباسا .

ومنها روحانية وهي أقسام . . .

فأحدها أنه يعطي المال لطلب الخدمة . . . وثانيها يعطي المال لطلب الإعانة . . . وثالثها يعطي المال لطلب الثناء الجميل . . . ورابعها يعطي المال لطلب الثواب الجزيل . . . وخامسها يعطي المال ليزيل حب المال عن القلب . . . وسادسها يعطي المال لدفع الرقة الجنسية عن قلبه . . . وكل هذه الأقسام أعراض روحانية . . .

وبالجملة فكل من أعطى فإنما يعطي ليفوز بواسطة ذلك العطاء بنوع من أنواع الكمال .

فيكون ذلك في الحقيقة معاوضة ، ولا يكون جودا ، ولا هبة ، ولا عطية .

أما الحق سبحانه وتعالى ، فإنه كامل لذاته ، فيستحيل أن يعطي ليستفيد به كمالا ، فكان الجواد المطلق والراحم المطلق هو الله تعالى .

الرحيم في الحقيقة هو الله ؟ !

الحجة الثانية . . . أن كل من سوى الله فهو ممكن لذاته ، والممكن لذاته لا يوجد إلا بإيجاد واجب الوجود لذاته .

فكل رحمة تصدر من غير الله فهي إنما دخلت في الوجود بإيجاد الله .

فيكون الرحيم في الحقيقة هو الله تعالى .

الراحم في الحقيقة هو الله ؟ !

الحجة الثالثة . . . أن الإنسان يمكنه الفعل والترك ، فيمتنع رجحان الفعل على الترك إلا عند حصول داعية جازمة في القلب .

فعند عدم حصول تلك الداعية يمتنع صدور الرحمة منه .

وعند حصولها يجب صدور الرحمة منه .

فيكون الراحم في الحقيقة هو الذي خلق تلك الداعية في ذلك القلب ، وما ذاك إلا الله تعالى .

فيكون الراحم في الحقيقة هو الله تعالى ،

والمنعم في الحقيقة هو الله ؟ !

الحجة الرابعة . . . هب أن فلانا يعطي الحنطة ، ولكن ما لم تحصل المعدة الهاضمة للطعام لم يحصل الإنتفاع بتلك الحنطة .

وهب أنه وهب البستان فما لم تحصل القوة الباصرة في العين لم يحصل الإنتفاع بذلك البستان .

بل الحق أن خالق تلك الحنطة ، وذلك البستان هو الله تعالى ، والممكن من الإنتفاع بهما هو الله ، الحافظ له عن أنواع الآفات والمخافات حتى يحصل الإنتفاع بتلك الأشياء هو الله تعالى .

فوجب أن يقال : المنعم والراحم في الحقيقة هو الله تعالى .

رحمة الله أعظم ؟ !

المقام الثاني . . . في بيان أن بتقدير أن تحصل الرحمة من غير الله إلا أن رحمة الله أكمل وأعظم .

وبيانه من وجوه . . .

الأول . . . أن الإنعام يوجب علو حال المنعم ودناءة حال المنعم عليه بالنسبة إلى المنعم ، فإذا حصل التواضع بالنسبة إلى حضرة الله ، فذاك خير من حصول هذه الحالة بالنسبة إلى بعض الخلق .

الثاني . . . أن الله تعالى إذا أنعم عليك بنعمة طلب عندها منك عملا تتوصل به إلى استحقاق نعم الآخرة !

فكأنه تعالى يأمرك بأن تكتسب لنفسك سعادة الأبد .

وأما غير الله فإنه إذا أنعم عليك بنعمة أمرك بالإشتغال بخدمته والإنصراف إلى تحصيل مقصوده

ولا شك أن الحالة الأولى أفضل .

الثالث . . . أن المنعم عليه يصير كالعبد للمنعم ، وعبودية الله أولى من عبودية غير الله .

الرابع . . . أن السلطان إذا أنعم عليك فهو غير عالم بتفاصيل أحوالك ، فقد ينعم عليك حال ما تكون غنيا عن انعامه ، وقد يقطع عنك إنعامه حال ما تكون محتاجا إلى إنعامه .

وأيضاً فهو غير قادر على الإنعام عليك في كل الأوقات وبجميع المرادات .

أما الحق تعالى فإنه عالم بجميع المعلومات ، قادر على كل الممكنات ، فإذا أظهرت بك حاجة عرفها ، وإن طلبت منه شيئا قدرُ على تحصيله ، فكان ذلك أفضل .

الخامس . . . الإنعام يوجب المنة ، وقبول المنة من الحق أفضل من قبولها من الخلق .

فثبت بما ذكرنا أن الرحمن الرحيم هو الله تعالى .

وبتقدير أن يحصل رحمن آخر فرحمة الله تعالى أكمل وأفضل وأعلى وأجل . . . والله أعلم .

عجائب بسم الله الرحمن الرحيم ؟!

بعض النكت المستخرجة من قولنا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ . . .

النكتة الأولى . . .

مرض موسى عليه السلام ، واشتد وجع بطنه .

فشكا إلى الله تعالى ، فدله على عشب في المفازة .

فأكل منه ، فعوفي بإذن الله تعالى .

ثم عاوده ذلك المرض في وقت آخر ، فأكل ذلك العشب فازداد مرضه !!

فقال : يا رب ، أكلته أولا فانتفعت به ، وأكلته ثانية فازداد مرضي !!

فقال : **لأنك في المرة الأولى ذهبت مني إلى الكلأ ، فحصل فيه الشفاء . . .**

وفي المرة الثانية ذهبت منك إلى الكلأ فازداد المرض . . .

أما علمت أن الدنيا كلها سم قاتل وترياقها اسمي ؟ !

ضع القماش واخرج ؟ !

الثانية . . .

باتت رابعة ليلة في التهجد والصلاة .

فلما انفجر الصبح نامت .

فدخل السارق دارها وأخذ ثيابها ، وقصد الباب ، فلم يهتد إلى الباب .

فوضعها . . . فوجد الباب !

ففعل ذلك ثلاث مرات

فنودي من زاوية البيت :

ضع القماش واخرج ، فإن نام الحبيب ، فالسلطان يقظان !!!

متى اصطلح الذئب مع الغنم ؟ !

الثالثة . . . كان بعض العارفين يرعى غنما ، وحضر في قطيع غنمه الذئاب ، وهي لا تضر أغنامه !

فمر عليه رجل وناداه : متى أصطلح الذئب والغنم ؟

فقال الراعي : من حين أصطلح الراعي مع الله تعالى .

فيها تسهيل وتخفيف ؟ !

الرابعة . . . قوله ﴿ بسم الله ﴾ معناه أبدأ بسم الله . . . فأسقط منه قوله « أبدأ » تخفيفا .

فإذا قلت ﴿ بسم الله ﴾ فكأنك قلت « أبدأ بسم الله » .

والمقصود منه التنبيه على أن العبد من أول ما شرع

في العمل كان مـدار أمره على التسهيـل والتخفيف والمسامحة .

فكأنه تعالى في أول كلمة ذكرها لك جعلها دليلا على الصفح والإحسان !

اكتبوها على أبواب المباني ؟ !

الخامسة . . .

روى أن فرعون قبل أن يدعي الإلهية بنى قصراً وأمر أن يكتب (بسم الله) على بابه الخارج .

فلما ادعى الإلهية ، وأرسل إليه مـوسى عليه السلام ودعاه ، فلم ير به أثر الرشد قال : إلهي كم أدعوه ولا أرى به خيراً ؟ !

فقال تعالى : يا موسى ، لعلك تريد إهلاكه ؟ . أنت تنظر إلى كفره وأنا أنظر إلى ما كتبه على بابه .

والنكتة أن من كتب هذه الكلمة على بابه الخارج صار آمنا من الهلاك وإن كان كافراً .

فالذي كتبه على سويداء قلبه من أول عمره إلى آخره كيف يكون حاله ؟ !

فكيف لا يرحم ؟!

السادسة . . .

سمى نفسه رحماناً رحيماً فكيف لا يرحم ؟

روي أن سائلاً وقف على باب رفيع فسأل شيئاً فأعطى قليلاً .

فجاء في اليوم الثاني بفأس وأخذ يخرب الباب !

فقيل له : ولم تفعل ؟!

قال : إما أن يجعل الباب لائقاً بالعطية أو العطية لائقة بالباب !

إلهنا إن بحار الرحمة بالنسبة إلى بحار رحمتك أقل من الذرَّة بالنسبة إلى العرش ، فكما ألقيت في أول كتابك على عبادك صفة رحمتك ، فلا تجعلنا محرومين عن رحمتك وفضلك .

حتى لا يطمع العدو ؟!

السابعة . . .

« الله » إشارة إلى القهر والقدرة والعلو ، ثم ذكر

عقيبه « **الرحمن الرحيم** » ، وذلك يدل على أن رحمته أكثر وأكمل من قهره .

الثامنة . . .

كثيراً ما يتفق لبعض عبيد الملك أنهم إذا اشتروا شيئاً من الخيل والبغال والحمير وضعوا عليها سمة الملك لئلا يطمع فيها الأعداء .

فكأنه تعالى يقول : إن لطاعتك عدوا وهو الشيطان ، فإذا شرعت في عمل فاجعل عليه سمتي ، وقل : **بسم الله الرحمن الرحيم** ، حتى لا يطمع العدو فيها .

كي تجد الكرامة ؟!

التاسعة . . . اجعل نفسك قرين ذكر الله تعالى حتى لا تبعد عنه في الدارين .

روي عن النبي ﷺ أنه دفع خاتمه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال : **اكتب فيه لا إله إلا الله** .

فدفعه إلى النقاش وقال : أكتب فيه « **لا إله إلا الله محمد رسول الله** » .

فكتب النقاش فيه ذلك .

فأتى أبو بكر بالخاتم إلى النبي ﷺ فرأى النبي فيه « **لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق** » .

فقال : **يا أبا بكر ، ما هذه الزوائد ؟**

فقال أبو بكر : يا رسول الله ما رضيت أن أفرق من اسمك عن اسم الله ، وأما الباقي فما قلته !

وخجل أبو بكر .

فجاء جبريل عليه السلام ، وقال : يا رسول الله أما إسم أبي بكر فكتبته أنا ، لأنه ما رضي أن يفرق إسمك عن اسم الله ، فما رضي الله أن يفرق إسمه عن إسمك .

والنكتة أن أبا بكر لما لم يرض بتفريق اسم محمد ﷺ عن اسم الله عز وجل وجد هذه الكرامة .

فكيف إذا لم يفارق المرء ذكر الله تعالى ؟!

كي تفوز بمُلك الدنيا والآخرة ؟!

العاشرة . . .

أن نوحاً عليه السلام لما ركب السفينة قال (**بِسم اللَّهِ مَجْرِيٰها وَمُرْسَاهَا**) فوجد النجاة بنصف هذه الكلمة .

فمن واظب على هذه الكلمة طول عمره يبقى محروماً عن النجاة !!

وأيضاً أن سليمان عليه السلام نال مملكة الدنيا والآخرة بقوله (**إنَّهُ من سُلَيْمَانَ وإنَّهُ بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرَّحِيمِ**) .

فالمرجو أن العبد إذا قاله فاز بملك الدنيا والآخرة .

عبقرية سليمان ؟!

الحادية عشرة . . .

إن قال قائل : لِم قدَّم سليمان عليه السلام إسم نفسه على اسم الله تعالى في قوله ﴿ **إنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ** ﴾ ؟

فالجواب من وجوه . . .

الأول . . . أن بلقيس لما وجدت ذلك الكتاب موضوعاً على وسادتها ، ولم يكن لأحد إليها طريق ،

ورأت الهدهد واقفاً على طرف الجدار ، علمت أن ذلك الكتاب من سليمان .

فأخذت الكتاب وقالت : **إنه من سليمان** .

فما فتحت الكتاب ، ورأت **بسم الله الرحمن الرحيم** قالت : **إنه بسم الله الرحمن الرحيم** .

فقوله ﴿ **إِنَّهُ من سُلَيْمانَ** ﴾ من كلام بلقيس لا كلام سليمان .

الثاني . . . لعل سليمان كتب على عنوان الكتاب ﴿ **إِنَّهُ مِن سُليمَانَ** ﴾ وفي داخل الكتاب ابتدأ بقوله ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ كما هو العادة في جميع الكتب ، فلما أخذت بلقيس ذلك الكتاب قرأت ما في عنوانه فقالت : **إنه من سليمان** . . . فلما فتحت الكتاب قرأت : **بسم الله الرحمن الرحيم** . . . فقالت : وإنه بسم الله الرحمن الرحيم .

الثالث . . . أن بلقيس كانت كافرة ، فخاف سليمان أن تشتم الله إذا نظرت في الكتاب ، فقدم اسم نفسه على إسم الله تعالى ، ليكون الشتم له لا لله تعالى .

إكرامات « بسم » ؟!

الثانية عشر . . .

الباء من « بسم » مشتق من البر ، فهو البار على المؤمنين بأنواع الكرامات في الدنيا والآخرة .

وأجل بره وكرامته أن يكرمهم يوم القيامة برؤيته .

مرض لبعضهم جار يهودي قال : فدخلت عليه للعيادة ، وقلت له : أسلم

فقال : على ماذا ؟

قلت : من خوف النار .

قال : لا أبالي بها .

فقلت : للفوز بالجنة .

فقال : لا أريدها .

قلت : فماذا تريد ؟!

قال : على أن يريني وجهه الكريم .

قلت : أسلم على أن تجد هذا المطلوب .

فقال لي : أكتب بهذا خطاً .

فكتبت له بذلك خطاً . . . فأسلم . . . ومات من ساعته .

فصلينا عليه . . . ودفناه .

فرأيته في النوم ، كأنه يتبختر ، فقلت له : يا شمعون ، ما فعل بك ربك ؟

قال : غفر لي ، وقال لي : أسلمت شوقاً إليّ !!!

عجائب « السين » ؟!

وأما السين فهو مشتق من إسمه السميع . . . يسمع دعاء الخلق من العرش إلى ما تحت الثرى .

روي أن زيد بن حارثة خرج مع منافق من مكة إلى الطائف فبلغا خربة ، فقال المنافق : ندخل ههنا ونستريح .

فدخلا ، ونام زيد ، فأوثق المنافق زيداً وأراد قتله .

فقال زيد : لم تقتلني ؟!

قال : لأن محمداً يحبك وأنا أبغضه .

فقال زيد : يا رحمن أغثني .

فسمع المنافق صوتاً يقول : ويحك لا تقتله !

فخرج من الخربة ، ونظر فلم ير أحداً .

فرجع وأراد قتله ، فسمع صائحاً أقرب من الأول يقول : لا تقتله !!

فنظر ، فلم يجد أحدا !

فرجع الثالثة . . . وأراد قتله ، فسمع صوتاً قريباً يقول : لا تقتله !!!

فخرج فرأى فارساً معه رمح ، فضربه الفارس ضربة فقتله .

ودخل الخربة ، وحل وثاق زيد ، وقال له : أما تعرفني ؟! أنا جبريل ، حين دعوت كنت في السماء السابعة ، فقال الله عز وجل : أدرك عبدي ، وفي الثانية كنت في السماء الدنيا ، وفي الثالثة بلغت إلى المنافق !!!

لطائف « الميم » ؟!

وأما الميم . . . فمعناه أن من العرش إلى ما تحت الثرى ملكه وملكه .

قال السدي : أصاب الناس قحط على عهد

سليمان بن داود عليهما السلام ، فأتوه فقالوا له : يا نبي الله ، لو خرجت بالناس إلى الاستسقاء ؟!

فخرجوا ، وإذا بنملة ، قائمة على رجليها ، باسطة يديها ، وهي تقول : اللهم إني خلق من خلقك ، ولا غنى لي عن فضلك !

قال : فصب الله تعالى عليهم المطر !

فقال لهم سليمان عليه السلام : ارجعوا ، فقد استجيب لكم ، بدعاء غيركم !!!

سأقول دائماً « الله » ؟!

أما قوله « الله » فاعلموا أيها الناس أني أقول طول حياتي : الله

فإذا مت أقول : الله .
وإذا سئلت في القبر أقول : الله .
وإذا جئت يوم القيامة أقول : الله .
وإذا أخذت الكتاب أقول : الله .
وإذا وزنت أعمالي أقول : الله .
وإذا جزت الصراط أقول : الله .

وإذا دخلت الجنة أقول : الله .

وإذا رأيت الله أقول : الله .

لماذا « الله الرحمن الرحيم » ؟!

النكتة الثالثة عشرة . . .

الحكمة في ذكر هذه الأسماء الثلاثة أن المخاطبين في القرآن ثلاثة أصناف ، كما قال تعالى ﴿ **فمنهم ظالِمٌ لِّنَفْسِهِ ، ومنهم مُّقْتَصِدٌ ، ومنهم سابِقٌ بالخَيْراتِ** ﴾ .

فقال : أنا الله . . للسابقين ، **الرحمن** . . . للمقتصدين ، **الرحيم** . . . للظالمين !

وأيضاً « الله » هو معطي العطاء . . . **والرحمن** هو المتجاوز عن زلات الأولياء . . . **والرحيم** هو المتجاوز عن الجفاء .

ومن كمال رحمته كأنه تعالى يقول : أعلم منك ما لو علمه أبواك لفارقاك ، ولو علمته المرأة لجفتك ، ولو علمته الأمة لأقدمت على الفرار منك ، ولو علمه الجار لسعى في تخريب الذار . . . وأنا أعلم كل ذلك وأستره بكرمي ، لتعلم أني إله كريم .

عطايا « الله ، الرحمن ، الرحيم » ؟!

الرابعة عشرة . . .

الله يوجب ولايته ، قال الله تعالى ﴿ اللهُ وَلِيُّ الذينَ آمَنُوا ﴾

والرحمن يوجب محبته ، قال الله تعالى ﴿ إِنَّ الذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً ﴾

والرحيم يوجب رحمته ﴿ وكانَ بالمؤمنينَ رَحيماً ﴾

عطاياها . . . وهداياها ؟!

الخامسة عشرة . . .

قال عليه الصلاة والسلام : **من رفع قرطاسا من الأرض فيه « بسم الله الرحمن الرحيم » إجلالا له تعالى كتب عند الله من الصديقين ، وخفف عن والديه وإن كانا مشركين .**

وقصة بشر الحافي في هذا الباب معروفة .

وعن أبي هريرة ، أنه عليه الصلاة والسلام قال :

يا أبا هريرة ، إذا توضأت فقل : بسم الله ، فإن حفظتك لا تبرح أن تكتب لك الحسنات حتى تفرغ[1] .

« وإذا غشيت أهلك فقل : بسم الله . . . فإن حفَظَتك يكتبون لك الحسنات حتى تغتسل من الجنابة .

« فإن حصل من تلك الواقعة ولد كتب لك من الحسنات بعدد نفس ذلك الولد .

« وبعدد أنفاس أعقابه إن كان له عقب ، حتى لا يبقى منهم أحد[2] .

---

(١) حقيقة هذا الأمر . . . أن العبد إذا قالها مخلصاً . . . فقد توجه قلبه إلى ربه . . . أي خرج فوراً من الظلمات إلى النور . . . وما يزال يرقى في درجات النور . . . ما دام قلبه متجهاً إلى الله !!!

فما أيسر هذا . . . وما أحسنه !!!

(٢) نفس القاعدة . . . قالها مخلصاً . . . فاتجه قلبه إلى الله . . . فخرج قلبه من الظلمات إلى النور فوراً . . . فإذا كانت في تلك اللحظة نطفة وكان منها جنين . . . انتقلت أنوار التوجه إلى الله إلى تلك النطفة . . . فكان جنينها نورانياً . . . ثم كان نسلها نورانياً بإذن الله !!! إلى ما شاء الله . . .

إنه امتداد إشعاعات النور . . . وتسلسل ذلك في الأجيال . . . . وأوضح مثال لذلك . . . نسل إبراهيم عليه السلام !!!

« يا أبا هريرة ، إذا ركبت دابة فقل : بسم الله والحمد لله ، يكتب لك الحسنات بعدد كل خطوة .

« وإذا ركبت السفينة فقل : بسم الله والحمد لله ، يكتب لك الحسنات حتى تخرج منها »[1] .

كيف تحجب عنك الجنّ ؟!

وعن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ قال : ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم ، إذا نزعوا ثيابهم ، أن يقولوا : بسم الله الرحمن الرحيم .

والإشارة فيه أنه إذا صار هذا الاسم حجاباً بينك

---

(١)،هي هي القاعدة . . .

بمجرد صدور « بسم الله » من القلب . . . وتحرك اللسان بها . . . كان معنى هذا أن ذلك القلب قد توجه إلى الله . . . أي خرج من الظلمات إلى النور . . . وما يزال يرقى في النور ما دام متجهاً إلى ربه . . . وهذا هو معنى « يكتب لك من الحسنات » . . . فالحسنة هي النور . . . هي زيادة الترقي في مقامات النور !!!

فتأمل . . . وتعجب !!!

وبين أعدائك من الجن في الدنيا ، أفلا يصير حجاباً بينك وبين الزبانية في العقبى ؟!

بسم الله . . . تذهب الصداع ؟!

السادسة عشرة . . .

كتب قصير إلى عمر رضي الله عنه ، إن بي صداعاً لا يسكن ، فابعث لي دواء .

فبعث إليه عمر قلنسوة ، فكان إذا وضعها على رأسه يسكن صداعه ، وإذا رفعها عن رأسه عاوده الصداع !!

فعجب منه . . . ففتش القلنسوة ، فإذا فيها كاغد مكتوب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم !!!

بسم الله . . . طهور للقلب ؟!

السابعة عشرة . . .

قال ﷺ : **من توضأ ولم يذكر اسم الله تعالى كان طهوراً لتلك الأعضاء .**

« ومن توضأ وذكر اسم الله تعالى كان طهورا لجميع بدنه » .

فإذا كان الذكر على الوضوء طهورا لكل البدن ، فذكره عن صميم القلب أولى أن يكون طهورا للقلب عن الكفر والبدعة !

عندما شرب السم . . . خالد بن الوليد ؟!

الثامنة عشرة . . .

طلب بعضهم آية من خالد بن الوليد فقال : إنك تدعي الإسلام فأرنا آية لنسلم .

فقال : ائتوني بالسم القاتل .

فأتي بطاس من السم . . .

فأخذها بيده . . . وقال : بسم الله الرحمن الرحيم . . .

وأكل الكل . . . وقام سالماً . . . بإذن الله تعالى !

فقال المجوس : هذا دين حق !

نطق بها الطفل . . . فأنقذت أباه ؟!

التاسعة عشرة . . .

مر عيسى بن مريم عليه السلام على قبر ، فرأى ملائكة العذاب يعذبون ميتاً .

فلما انصرف من حاجته مر على القبر فرأى ملائكة الرحمة معهم أطباق من نور .

فتعجب لذلك !

فصلى ودعا الله تعالى ، فأوصى الله تعالى إليه : يا عيسى ، كان هذا العبد عاصياً ، وقد مات محبوساً في عذابي ، وكان قد ترك امرأة حبلى ، فولدت ولداً ، وربته حتى كبر ، فسلمته إلى الكتاب ، فلقنه المعلم « بسم الله الرحمن الرحيم » ، فاستحييت من عبدي أن أعذبه بناري في بطن الأرض ، وولده يذكر اسمي على وجه الأرض !!!

التسمية . . . فيها اسم الحبيب ؟!

العشرون . . .

سئلت عمرة الفرغانية ـ وكانت من كبار العارفات ـ : ما الحكمة في أن الجنب والحائض منهيان عن قراءة القرآن دون التسمية ؟!

فقالت : لأن التسمية فيها ذكر اسم الحبيب ، والحبيب لا يمنع من ذكر الحبيب .

رحيم . . . في ستة مواضع ؟!

الحادية والعشرون . . .

قيل في قوله « الرحيم » هو تعالى رحيم بهم في ستة مواضع . . .

في القبر وحشراته . . . والقيامة وظلماته . . . والميزان ودرجاته . . . وقراءة الكتاب وفزعاته . . . والصراط ومخافاته . . . والنار ودركاته .

عاملني بعنوان كتابك ؟!

الثانية والعشرون . . .

كتب عارف « بسم الله الرحمن الرحيم » ، وأوصى أن تجعل في كفنه .

فقيل له : أي فائدة لك فيه ؟!

فقال : أقول يوم القيامة : إلهي بعثت كتاباً ، وجعلت عنوانه « بسم الله الرحمن الرحيم » فعاملني بعنوان كتابك .

عجائب حروفها التسعة عشر ؟!

الثالثة والعشرون . . .

قيل « بسم الله الرحمن الرحيم » تسعة عشر حرفاً ، وفيه فائدتان .

إحداهما . . . أن الزبانية تسعة عشر . . .

فالله تعالى يدفع بأسهم بهذه الحروف التسعة عشرة .

الثانية . . . خلق الله تعالى الليل والنهار أربعة وعشرين ساعة . . . ثم فرض خمس صلوات في خمس ساعات . . . فهذه الحروف التسعة عشر تقع كفارات الذنوب التي تقع في تلك الساعات التسعة عشر !

إنما خلقك للرحمة ؟!

الرابعة والعشرون . . .

لما كانت سورة التوبة مشتملة على الأمر بالقتال ، لم يكتب في أولها « بسم الله الرحمن الرحيم » .

وأيضاً السنة أن يقال عند الذبح « بسم الله ، والله

أكبر » . . . ولا يقال « بسم الله الرحمن الرحيم » لأن وقت القتال والقتل لا يليق به ذكر الرحمن الرحيم .

فلما وفقك لذكر هذه الكلمة ، في كل يوم سبع عشرة مرة في الصلوات المفروضة . . .

دَلَّ ذلك على أنه ما خلقك للقتل والعذاب . . .

وإنما خلقك للرحمة والفضل والإحسان !

والله تعالى الهادي إلى الصواب .

فهرس

صفحة

مقدمة ٧

من هو هذا المؤلف ؟!

فيه قالوا ٩
كيف أخذ العلم ؟ ١٠
عبقري ١٠
شخصية رائعة ١١
السلطان إليه يسعى ١٣
إمام وتلاميذه أئمة ١٣
أصح الطرق طريقة القرآن ١٤
نموذج من شعره ١٥
الإمام الكبير يتحدث عن نفسه ١٦

ماذا قال الفخر الرازي ؟! ٢١

ما المراد من قوله بسم الله ؟ ٢٢

كيف تقرأ ، وكيف تكتب ، بسم الله الرحمن الرحيم ؟ ٢٢
دقيقة لأرباب الإشارات ! ٢٥
الرحمن الرحيم ٢٦
كيف تُكتب ؟ ٢٨
هل لله تعالى بحسب ذاته المخصوصة اسم أم لا ؟ ٣١
ليس بجسم ولا جوهر ٣٢
حقيقته تعالى غير معلومة للبشر ! ٣٣
الحواس والعقول عاجزة ! ٣٤
حقيقة الحق وراء العقل ! ٣٥
لا يعرف الله إلا الله ٣٦
المعرفة العرضية ممكنة ٣٧
لا تدركه الأبصار ٣٨
لا أحد يعرف الذات ! ٤٠
من عرف الاسم الأعظم . . . أطاعته جميع العوالم ! ٤١
ما هو اسم الله الأعظم ؟ ٤٢
هل هو الحي القيوم ؟ ٤٣
أسماء الله كلها عظيمة ٤٤
هل الاسم الأعظم هو « الله » ؟ ٤٥

الأسماء الدالة على الوجود	٤٦
ليس كمثله شيء !	٥٠
لفظ « الشيء » ليس اسما لله	٥١
لا تقل . . . « يا شيء »	٥٣
هل يجوز إطلاق لفظ « الموجود » على الله ؟	٥٤
ذات الله	٥٥
لفظ « النفس »	٦١
لفظ « الشخص »	٦٦
هل يجوز إطلاق « النور » على الله ؟	٦٧
الصورة	٦٨
هل هو جوهر ؟	٧٧
لفظ « الجسم »	٧٨
تعالى عما يصفون	٧٩
لفظ الأنية ؟	٨٠
لفظ الماهية ؟	٨١
الحق ؟	٨١
الأزليّ الأبديّ	٨٢
هو الأول والآخر	٨٥
القديم	٨٦

الأزليّ ٨٧
لا أول له ٨٧
الأبديّ ٨٨
السرمديّ ٨٩
المستمرّ ٩٠
الممتدّ ٩٠
لفظ « الباقي » ٩٠
الدائم ٩١
واجب الوجود لذاته ٩١
الكائن ٩٢
الصفة المغايرة للوجود ٩٣
دلائل مثبتي القول بالصفات ٩٣
صفة الحياة ٩٦
الصفات الاضافية ٩٩
هل صفة التكوين قديمة ؟ ١٠٠
أسماء الله غير متناهية ١٠٢
المعزّ المذلّ ١٠٧
فروق لطيفة ١٠٧
الأسماء الواقعة بحسب الصفات السلبية ١٠٨

يجب تنزيه الله عن صفات النقائض ١٠٩
منزه عن التعب ١١١
يُطعِمُ ولا يُطعَم ١١١
لا يخلق العبَث ١١٢
لا يُعاقِب من غير سابقة جُرم ١١٣
القدُّوس . . . السَّلام ١١٤
الواحد ١١٥
الغنيُّ ١١٥
الأسماء الحاصلة بسبب القدرة ١١٦
القادر . . . القدير . . . المقتدر . . . ١١٦
المِلك . . . المليك . . . المالك . . . مالك الملك . ١١٧
القويّ . . . ذو القوة . . . ١١٨
الأسماء الحاصلة بسبب العلم ١١٩
العالم . . . العليم . . . العَلّام . . . الأعلم . . . ١١٩
الخبير ١٢١
الشهيد ١٢١
الحكيم ١٢٢
اللطيف ١٢٢
الأسماء الحاصلة بسبب صفة الكلام ١٢١

الأمر ١٢٣
الوعد ١٢٤
الوحي ١٢٤
شاكر ١٢٤
الإرادة ١٢٥
الرضا ١٢٥
المحبة ١٢٦
الكراهة ١٢٦
السمع والبصر ١٢٧
في الصفات الاضافية مع السلبية ١٢٧
الإله ١٢٩
الله ١٣٠
الأسماء التي اختلفوا فيها . . . هل هي
من أسماء الذات . . . أو من أسماء الصفات ؟ ١٣١
العظيم ١٣٢
الكبير . . . الأكبر . . . المتكبر . . . وله الكبرياء . . .
تعالى . . . العليُّ . . . الأعلى . . . المتعالي . . . ١٣٥
أنا . . . وأنتَ . . . وهو . . . ١٣٧
لا إله إلا أنا

لا إله إلا أنت ١٤٠
لا إله إلا هو ١٤٠
أسرار . . . « هو » ١٤١
« يا . . . هو » ١٤٢
هُوَ . . . هُو . . . ١٤٤
هو . . . الممدوح لذاته ١٤٥
ألذّ المقامات ١٤٩
لا نهاية لمراتب الشوق ١٥٠
يا . . . هو . . . نهاية في التوحيد ! ١٥٢
أنوارُ . . . هو . . . ١٥٤
لعلك تظفر بذَرَّة من نورها ١٥٥
كيف تخلص من هموم الدنيا ؟ ١٥٧
« هو » . . . أشرف المذكورات ١٥٨
الثناء الخالي عن السؤال ١٥٩
توحيد الخواص ١٦٠
هل الأسماء توقيفية ؟ ١٦٢
لا حاجة إلى التوقيف ١٦٥
صفات لا يمكن إثباتها في حق الله ١٦٦
لله ٤٠٠٠ اسم ١٦٧

عجائب الحكمة في خلق الإنسان ١٦٩
لا نهاية لأسماء الله الحسنى ١٧٠
المناسبة بين الخلق وبين أسماء الله ١٧١
الله ؟! ١٧٣
ليس اسم علم ١٧٦
هل هو اسم مشتق ١٧٨
سخف العبادة طلبا للثواب ١٧٩
مَن هو الإله ؟ ١٨٠
محبوب لذاته ١٨٢
الواصلون . . . والمحرومون ١٨٣
الأعلى ١٨٤
العجز عن درك الإدراك إدراك ١٨٥
محتجب عن العقول ١٨٦
يا رب . . . يا رب . . . ١٨٨
وهو يجير ولا يجار عليه ١٩٠
ففرُّوا إلى الله ١٩١
بحارَ الرحمةَ غير متناهية ١٩٢
لا يثقل مع ذكر الله شيء ! ١٩٢
ابني . . . ابني ! ١٩٣

خواص الإسم « الله » ١٩٤
الرحمن الرحيم ١٩٦
أنت نفس وبدن وروح وجسد ١٩٩
تأمل عجائب بدنك ٢٠١
لا رحمة إلا لله ٢٠٢
الرحيم في الحقيقة هو الله ٢٠٣
الراحم في الحقيقة هو الله ٢٠٣
والمنعم في الحقيقة هو الله ٢٠٤
رحمة الله أعظم ٢٠٥

عجائب

بسم الله الرحمن الرحيم

ضع القماش واخرج ! ٢٠٨
متى اصطلح الذئب مع الغنم ؟ ٢٠٩
فيها تسهيل وتخفيف ٢٠٩
اكتبوها على أبواب المباني ٢١٠
فكيف لا يرحم ؟! ٢١١
حتى لا يطمع العدو ٢١١
كي تجد الكرامة ٢١٢
كي تفوز بمُلك الدنيا والآخرة ٢١٣

عبقرية سليمان ٢١٤
اكرامات « بسم » ٢١٦
عجائب « السين » ٢١٧
لطائف « الميم » ٢١٨
سأقول دائماً « الله » ٢١٩
لماذا « الله الرحمن الرحيم » ؟ ٢٢٠
عطايا « الله الرحمن الرحيم » ٢٢١
عطاياها . . . وهداياها . . . ٢٢١
كيف تحجب عنك الجن ؟ ٢٢٣
بسم الله . . . تذهب الصداع ! ٢٢٤
بسم الله . . . طهور للقلب ٢٢٤
عندما شرب السم . . . خالد بن الوليد ! ٢٢٥
نطق بها الطفل . . . فأنقذت أباه ! ٢٢٥
التسمية . . . فيها اسم الحبيب ! ٢٢٦
رحيم . . . في ستة مواضع ! ٢٢٧
عاملني بعنوان كتابك ٢٢٧
عجائب حروفها التسعة عشر ! ٢٢٨
إنما خلقك للرحمة ! ٢

أخطاء مطبعية

رقم الصفحة بالكتاب	رقم السطر بالصفحة	الخطأ	التصحيح
٧٤	١١ فى الهامش السفلى	لهم ينصت	لم ينصت
٨٥	٣	يكون	بكون
١٠١	١٢	يكون	بكون
١٥٤	١٢	فى حق الحق محال... لأن أحوال	فى حق الحق محال, وأما القسم الثالث, فهذا أيضا باطل محال , لأن
١٧٤	٢	اسم على الله	اسم علم لله
٢١٤	٣	عمره.. يبقى.	عمره كيف يبقى

المكتبة العصرية
للطباعة والنشر
تلفون: ٢٢٧٥٤٥ - ص.ب: ٨٢٠٠
بيروت - لبنان